

روايات الهلال
موت فوضوي
قضاء وقدرا
للمؤلف المسرحي
الإيطالي
داريو فو
جائزة نوبل
للأدب ١٩٩٧
MORTE
ANAR CHICO
ANARCHICO
MORTE
ANARCHICO
MORTE
ANARCHICO
ANARCHICO
MORTE
ANARCHICO
حلمي التوني ١٩٩٧
ترجمها عن الإيطالية د. محمود علي مُراد

روايات الهلال
Rewayat Al Hilal

سلسلة شهرية لنشر القصص العالمي

تصدر عن مؤسسة دار الهلال
الإصدار الأول: يناير ١٩٤٩

ثمن النسخة

سوريا ١٧٠ ليره - لبنان ٥٠٠٠ ليره - الاردن ٢٠٠٠ فلس - الكويت ١٥٠٠ فلس - السعودية ١٥ ريال - البحرين ١,٥ دينار - قطر ١٥ ريال - دبى / ابوظبى ١٥ درهم - سلطنة عمان ١,٥ ريال -

العدد ٥٨٩
يناير ١٩٩٨ ● رمضان ١٤١٨ هـ
No - 589 - JAN -1998

اهداءات ٢٠٠٢

أسرة المرحوم/شارل كرتيه
الاسكندرية

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ٥٥ جنيها داخل ج . م . ع تسدد مقدما نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية - البلاد العربية ٣٥ دولارا - امريكا واوربا واسيا وافريقيا ٥٠ دولارا - باقى دول العالم ٦٠ دولار .
القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال - ويرجى عدم ارسال عملات نقدية بالبريد .

للاشتراك فى الكويت . السيد عبدالعال بسيونى زغلول الصفا ص . ب ٢١٨٣٣ (13079) ت ٤٧٤١١٦٤
الادارة : القاهرة - ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) ت : ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط) المكاتبات : ص . ب . ٦١ العتبة - القاهرة - الرقم البريدى ١١٥١١ - تلغرافيا : المصور - القاهرة ج . م . ع .
تلكس TELEX 92703 hilal u n
فاكس FAX 3625469

مـــوت فوضـــوى
قضـــاء وقـــدرا

(جـــائزة نـــوبل ١٩٩٧م)

بقلم :

داريو فو

ترجمة :

د . محمود على مراد

●

دار الهلال

هذه هى الترجمة الكاملة (عن اللغة الايطالية) لمسرحية

MORTE ACCIDENTALE DI UN ANARCHICO

تأليف

DARIO FO

(نوبل ١٩٩٧)

الغلاف للفنان :

حلمى التونى

قبل أن تقرأ

نشرت هذه المسرحية لأول مرة فى ديسمبر ١٩٧٠ وهى ، فى رأى العديدين ، أشهر مسرحيات داريو فو .

وكانت إيطاليا فى الآونة التى كتبها فيها مؤلفها تمر بفترة من عدم الاستقرار السياسى تميزت بكثرة حوادث العنف وتفجير القنابل ، فقد انفجرت فى ٢٥ أبريل ١٩٦٩ ، فى مدينة ميلانو ، عدة قنابل فى جناح شركة «فيات» فى معرض أقيم فيها ، وفى مكتب لاستبدال العملة بمحطة السكك الحديدية . وفى يومى ٨ و٩ أغسطس ١٩٦٩ ، انفجرت إحدى عشرة قنبلة فى عربات السكك الحديدية . وفى ١٩ نوفمبر ١٩٦٩ ، قتل أحد رجال الشرطة فى إضراب عام هاجمت الشرطة فيه مظاهرة للاتحاد الماركسى اللينينى. وفى ١٢ ديسمبر من العام ذاته انفجرت قنبلة فى نُصُب «مذبح الوطن» وقنبلة أخرى فى الطابق السفلى من بنك العمل . وفى اليوم ذاته انفجرت فى ميلانو قنبلة فى بنك الزراعة أسفرت عن مصرع ١٦ وجرح ٨٨ ، كما وضعت فى البنك التجارى قنبلة لم تنفجر . وقد سمى خريف عام ١٩٦٩ بسبب هذه الانفجارات بالخريف الساخن .

وكان فى ايطاليا ، بالإضافة إلى أحزاب اليمين واليسار والوسط الممثلة فى البرلمان ، حركات عمالية مختلفة الاتجاهات وكذلك حركات مسلحة وغير مسلحة بعضها يسارى وبعضها يمينى ، كما كانت «المافيا» وهى «جمعية من الخارجين على القانون تفرض نفسها بوسائل الارهاب كوسيط طفيلى بين الملكية والعمل ، ومن الإنتاج والاستهلاك ، وبين المواطن والدولة تلعب دورا مهما فى حياة البلد السياسية ، وكان الحزب

الشيوعى الايطالى والحزب الاشتراكى الايطالى ، بوصفهما ممثلى «البروليتاريا» السياسيين ، يرفضان التقدم للانتخابات البرلمانية وقد تكونت تنظيمات اليسار غير البرلمانية .. خلال الستينات حول محورين أساسيين هما الاتجاه العمالى والإتجاه الماركسى اللينينى . وقد عمدت الحركات اليمينية المتطرفة ذات الإتجاه الفاشستى إلى مخالفة القانون وتسللت إلى أجهزة الدولة لا سيما أجهزة الأمن والمخابرات وطبقت ما يعرف «باستراتيجية المذابح» وهى استراتيجية تهدف إلى إثارة الفتنة والقلاقل وجعل الرأى العام يتطلع إلى نظام حاكم قوى ذى قبضة حديدية .

وقد قبضت شرطة ميلانو يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٩ على عامل فوضوى فى مصلحة السكك الحديدية اسمه «جوزيبى بينيللى» واحتجزته فى مركز الشرطة فترة أطول من المدة القانونية . وقام باستجواب هذا العامل قوميسار فى البوليس السياسى اسمه «كالابريزى» . والذى حدث هو أن هذا الفوضوى سقط فى ليلة ١٥ إلى ١٦ ديسمبر ، من الطابق الرابع لمركز بوليس ميلانو .

وبعد أشهر من التصريحات المتناقضة اعتبر وكيل النيابة أن موت بينيللى كان قضاء وقدرا وأنه حدث نتيجة انتحار . واعتمد عميد قضاة التحقيق رأى النيابة وقرر حفظ القضية فى ٣ يوليو ١٩٧٠ . وقد استدعى هذا القاضى فى ١٥ ديسمبر ١٩٦٩ فوضويا آخر اسمه «ڤالابريدا» للمثول أمامه فى ميلانو ليستجويه بشأن سبه البابا ، ولكن رجال البوليس قبضوا على ڤالابريدا قبل أن يعبر باب مكتب القاضى واقتادوه إلى روما حيث وجه إليه وكيل نيابة تهمة تفجير قنابل فى بنك الزراعة يوم ١٢

ديسمبر ١٩٦٩ وأودعه السجن . وكان ڤالابريدا راقصا فى أحد الكباريهات وكان يتكسب أيضا من صنع «أباجورات» من طراز «الحرية» ويستخدم فى ذلك قطع زجاج صغيرة ملونة . وقد اتهم ڤالابريدا فى حادثة التفجير المذكورة لأن سائق تاكسى شهد أمام شرطة ميلانو بأنه وصّل ڤالابريدا إلى بنك الزراعة قبل انفجار القنبلة بقليل كما أن البوليس عثر فى حوزته على حافظة سوداء تحتوى على قطع زجاج . وقد اختفى شهود النفى فى قضية ڤالابريدا فى ظروف غامضة ، وكان من شهود الإثبات رجل شرطة تخلل مجموعة فوضويين تحمل اسم «باكونين» وكذلك شخص فاشستى اسمه «برلينو» اندس فى هذه المجموعة .

وقد اتهمت مجلة «الكفاح المستمر» اليسارية القوميسار كالابريزى ، بعد موت الفوضوى بأربعة أيام ، بأنه مسئول عن موت بينيللى ، وأيدت صحفية تعمل فى مجلة «لكسبرسو» ، كانت قد قابلت رجال البوليس فى مركز بوليس ميلانو فى الليلة التى لقى فيها هذا العامل حتفه ، هذا الإتهام . وقدم القوميسار كالابريزى شكوى قذف ضد مجلة «الكفاح المستمر» فى ابريل ١٩٧٠ وترتب على ذلك فتح ملف قضية بينيللى من جديد . وأيدت المحكمة التى نظرت هذه الشكوى مقولة الانتحار ولكن القضية أجلت لتقديم تقرير خبرة جديد من الطبيب الشرعى . وفى آخر اكتوبر ١٩٧١ اتهم كالابريزى - الذى كان قد رقى فى هذه الأثناء - بجريمة القتل العمد كما اتهم خمسة من رجال شرطة ميلانو الآخرين بتهمة القتل بالإهمال . وقد استبعدت تقارير الخبرة والخبرة المضادة التى أجريت على جثة بينيللى ، التى أخرجت من القبر ، احتمال الانتحار كما استبعدت احتمال سقوط هذا الفوضوى من النافذة نتيجة لوعكة أصابته .

وكانت المفاجأة هى أن القوميسار كالابريزى قتل بعيار نارى أطلق عليه فى ١٧ مايو ١٩٧٢ أمام منزله .

واتهم فالابريدا بوضع القنبلة فى البنك الزراعى ، كما وجه الاتهام إلى الفاشستى مرلينو . وقد حمل اتهام هذا الأخير الرأى العام على الاعتقاد بأن سلطات البوليس لم تجر التحريات اللازمة بين الجماعات الفاشستية للوقوف على دورها فى هذا النشاط الإرهابى ، رغم أن أصواتا قد ارتفعت فى اليوم التالى لموت بينيللى تقول إن من نفذوا عملية البنك الزراعى التى قتل فيها ١٦ وجرح ٨٨ لم يكونوا من الهواة ، بل إن عضوا فى مجلس الشيوخ تساءل عما إذا لم يكن مدبرو هذه العملية من أصدقاء الكولونيلات الذين كانوا يحكمون اليونان أيامها ، وكانت منظمة حكومية للطلبة اليونانيين فى الخارج قد صحبت إلى اليونان فى مارس ١٩٦٨ نحو أربعين ممن كانوا يسمون بالفاشيين الجدد ، من بينهم ماريو مرلينو .

وقد اتخذ داريو فو من قضية بينيللى ، التى شغلت الرأى العام وقتها ، ومن المناخ السياسى العام الذى كان يشكل خلفيتها ، مادة لمسرحيته وأدخل فيها معظم الأشخاص والأحداث التى ذكرناها . ولقيت المسرحية نجاحا كبيرا لدى رواد المسرح فى ايطاليا وظلت تمثل فى مختلف المدن الايطالية بلا انقطاع أكثر من سنتين وساهمت فى كسر جو الإرهاب ، والاستعداء على من كانوا يسمونهم بـ «الحمر» اليساريين ، الذى كانت وسائل الاعلام وأجهزة البوليس تغذيه ، كما لعبت دورا حاسما فى الحملة التى طالبت بإطلاق سراح ڤالابريدا الذى كانت وسائل الاعلام تسميه فى البداية بالوحش الآدمى . وترجمت المسرحية إلى لغات عديدة ولقيت نجاحا كبيرا فى عشرات البلدان التى مثلت فيها خارج

ايطاليا ، سواء فى دول شرق أوروبا أو فى الدول الغربية ، أو فى دول العالم الثالث .

وهذه المسرحية نموذج للمسرحية السياسية فجرائم تفجير القنابل هى جرائم ضد أمن الدولة الداخلى ، والمتهم فى القضية التى بنيت عليها كان فوضويا .

والفوضوية - خلافا لما يتبادر إلى الذهن من اسمها - ليست حرية الانسان فى أن يفعل ما يشاء بلا ضابط ولا رابط ولا قانون ، وإنما هى نظرية سياسية واقتصادية واجتماعية وأخلاقية قال بها عدد من الكتاب والفلاسفة والمفكرين فى أوربا وروسيا منذ أواخر القرن الثامن عشر . وأهم منظريها هم البريطانى وليام جودوين (١٧٥٦ - ١٨٣٦) والالمانى ماكس سترنر (١٨٠٦ - ١٨٥٦) والفرنسى بيير جوزيف برودون (١٨٠٩ - ١٨٦٤) والروسيان ميشيل باكونين (١٨١٤ - ١٨٧٦) والكاتب الكبير ليون تولستوى (١٨٢٨ - ١٩١٠) . ويرى دعاة الفوضوية أن تنظيم المجتمع الذى تهيمن عليه الدولة تنظيم ظالم يسحق الفرد ويهضم حقوقه ويفسد الحكام والمحكومين ، وأن إصلاح هذا الوضع لا يتأتي إلا بإلغاء الدولة أو بتقليل دورها فى حياة الناس إلى الحد الأدنى ، وباكونين ، الذى كانت تحمل اسمه مجموعة الفوضويين التى كان فالبريدا عضوا فيها والذى ورد اسمه فى المسرحية اكثر من مرة ، ثورى فوضوى روسى ولد سنة ١٨١٤ والتحق بمدرسة الضباط بسان بترسبرج وعين ضابطا فى المدفعية ، ولكنه استقال بعد شهور من تعيينه وذهب إلى موسكو ودرس فيها دراسات عدة منها فلسفة الفيلسوف الألمانى هيجل (١٧٧٠ - ١٨٣١) ، ثم ترك روسيا ورحل سنة ١٨٤٠ إلى برلين عاصمة بروسيا

فى ذلك الوقت وفيها التقى بعدد من الشبان الذين يشاركونه الاعجاب بفلسفة هيجل وتبلورت ميوله الثورية . وفى سنة ١٨٤٢ رحل إلى فرنسا واختلط بعدد من اللاجئين الألمان ومنهم كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) ومن المفكرين الفرنسيين من بينهم برودون أحد أعلام الفوضوية . ثم ترك باريس وهاجر إلى ألمانيا وتنقل فيها بين البلدان . وفى سنة ١٨٤٩ اشترك مع الموسيقار ريتشارد فاجنر (١٨١٣ - ١٨٨٣) فى الحركة الثورية بمدينة درسدن ، ولكن هذه الحركة فشلت وقبض عليه وسلمته بروسيا إلى روسيا وحكم عليه فى بلده بالسجن المؤبد ثم خفف القيصر حكمه ونفى باكونين إلى سيبريا ولكنه استطاع الهرب سنة ١٨٦١ ولجأ إلى لندن . وبعد ثورة بولندا ضد امبراطورية قيصر (١٨٦٣ - ١٨٦٤) وتحت تأثير برودون الذى رآه من جديد فى باريس سنة ١٨٦٤ اتجه نهائيا إلى الفوضوية . وألف فى إيطاليا جمعية سرية تحت اسم اتحاد الثوريين الاشتراكيين سنة ١٨٦٤ واشترك فى مؤتمر لجامعة السلام والحرية للديمقراطيين البورجوازيين فى جنيف سنة ١٨٦٧ بأمل أن يصوت فيه على قرارات اشتراكية ولكنه لم ينجح فى هذا فألف الرابطة الدولية للديمقراطية الاشتراكية (١٨٦٨) وحرر برنامجها . وقد أصبحت هذه الرابطة أحد أقسام الجمعية الدولية للعمال المعروفة بالدولية الأولى التى كان كارل ماركس من أهم أعضائها . وفى ١٨٧٠ - ١٨٧١ تبنى قضية فرنسا ضد ألمانيا . كذلك لعب باكونين دورا إيجابيا فى تنمية الحركة الثورية فى روسيا . وفى مؤتمر لاهاى (١٨٧٢) استبعد باكونين وأنصاره من الدولية الأولى وكان الذى عمل على استبعاده هو كارل ماركس وممثلو الاشتراكية التى تقوم على السلطة . وكان باكونين ،

متأثرا بأفكار برودون ، من أنصار الحركة التعاونية والفيدرالية المناهضة لكل سلطة وكان يدعو إلى الثورة الاشتراكية كوسيلة لإلغاء الدولة إلغاء فوريا وجذرياً . هذا وقد رأى الفوضويون فى مؤتمر لهم ، عقد بمدينة «سانت ايميه» السويسرية عام ١٨٧٧ ، أن الدعوة الشفهية والمكتوبة للفكرة الفوضوية لن تكفل انضمام الجماهير إليها ، وقرروا استخدام سلاح العنف . وقد استخدموا هذا السلاح بالفعل فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ففجروا القنابل ونشروا الرعب والإرهاب واغتالوا عددا من الملوك والرؤساء منهم فى سنة ١٨٩٨ ، الامبراطورة اليزابيث امبراطورة النمسا ، وفى سنة ١٨٩٧ رئيس وزراء إسبانيا ، وفى سنة ١٩٠٠ الملك همبرت ملك إيطاليا ، وفى سنة ١٩٠١ رئيس الولايات المتحدة .

وكان داريو فو فى وقت من الأوقات عضوا فى الحزب الشيوعى الايطالى ولكنه ترك هذا الحزب إلى الفوضوية . ولم يكن السلاح الذى استخدمه سلاح العنف وانما سلاح المسرح وسلاح السخرية . ومسرحية «موت فوضوى قضاء وقدرا» واحدة من مسرحيات عديدة عرض فيها فلسفته وآراءه السياسية مستخدما هذين السلاحين .

ماذا يفعل كاتب «مسرح الحقيقة» حين يريد أن يهاجم الشرطة ؟ إنه يدخل ضمن أشخاص مسرحيته نفرا يمثلون مستويات الشرطة الثلاثة : المستوى الأول ، أى الشاويش ، والمستوى الأوسط ، أى الضابط القوميسار ، والمستوى الأعلى ، أى مدير البوليس . ولا بأس إن كان هناك بدل القوميسار قوميساران إذا اقتضت ذلك الصنعة المسرحية : قوميسار رياضى قوى تكفى ضربة بسن يده للإصابة بعاهة مستديمة ، يرمز إلى القوميسار كالابريزى الذى تسبب فى قتل العامل الفوضوى ،

وقوميسار آخر من اختراع المؤلف، مكلف بحفظ أوراق التحقيقات ويحقق فى الوقت ذاته الشكاوى البسيطة ، تكون مهمته فى المسرحية تعريفنا بهويات البطل المتعددة والرد على بعض أسئلة الصحفية ثم ، فى نهاية المسرحية ، الكشف عن هوية البطل الحقيقية . ولدور هذا القوميسار الإضافى فائدة أخرى هى الإضافة إلى حركة المسرحية وجعلها من منظرين بدل أن تكون من منظر واحد فى مكتب القوميسار الرياضى . إن بطل المسرحية فى مواجهة القوميسار الأول متهم يسأل فيجيب . ولكن هذا المتهم سرعان ما يتحول إلى شخص مختلف ، هو الذى يوجه الأسئلة وهو الذى يتلقى عنها الإجابات . وهذه هى المفاجأة التى ستتكرر طوال المسرحية . ويضيف المؤلف إلى أشخاص المسرحية صحفية مجلة «لكسبرسو» التى كان لها دور فى قصة العامل الفوضوى الحقيقية ولكنه يستخدمها فى دور يجاوز دورها الحقيقى . إنها تدخل كعنصر نسائى يلطف من جو المسرحية الرجالى المتوتر . وهى من جهة أخرى تدخل شيئا من الإثارة ، وتمنع السأم الذى كان يمكن أن يتولد عن استمرار استجواب شخص واحد ، هو البطل ، لرجال البوليس فترة طويلة ، وتفتح جبهة جديدة ضد رجال البوليس وتسمح للبطل بالقيام بدور مختلف عن دوريه السابقين . أما الشاويش فهو كومبارس المسرحية ووظيفته فيها هى أن يقسم ، متى احتاج الأمر إلى قسم ، وأن يحاول إنقاذ رؤسائه فى المواقف المحرجة حين يسمح له بالكلام .

وأما دور المجنون فهو دور متعدد الجوانب يلعبه داريو فو نفسه كلما عرضت المسرحية فى إيطاليا ، أو فى خارجها بالايطالية . والمؤكد أن المؤلف فصّل هذا الدور على شخصه تفصيلا وأنه حين يمثله يندمج فيه

اندماجا كاملا ويؤديه معبرا عن نفسه وعن آرائه ومبادئه بصورة مباشرة أصدق تعبير . إنه يحتل خشبة المسرح من أول المسرحية لآخرها وهو يصول فيها ويجول ويطلق نيرانه فى جميع الاتجاهات لا يرهب شيئا ولا أحداً ، ويصد الضربات الموجهة إليه ببراعة ، ويكيل لمن يهاجمه الصاع صاعين ، وهو دائما صاحب الكلمة الأخيرة حتى حين ينكشف أمره للجميع فى آخر المسرحية . إنه يعرف كل شىء ولديه الرد المفحم على كل سؤال وهو يعرف حقوقه كمجنون معرفة كاملة ، وهو يهاجم القوميسار الأول ويفقده توازنه فإذا بهذا القوميسار الذى بدأ الاستجواب معتدا بنفسه يجد نفسه فى مأزق لا يدرى كيف يخرج منه ويقول إنه هو الذى سيصاب آخر الأمر بالجنون . أما فى تعامله مع قوميسار البوليس السياسى ومع مدير البوليس ، الذى رسمه فى المسرحية بأوصافه الحقيقية ومنها أنه كان فى السابق مديرا لأحد السجون الفاشستية ، فإنه يستغل صفته كقاض إلي أقصى حد ويضيق عليهما الخناق ويحيط بهما من كل جانب ويسد فى وجهيهما كل سبل الخلاص . إنه يسجل عليهما كذبهما وتضارب أقوالهما وتناقضهما فيما بينهما بصرامة القاضى الذى لا يرحم ولا يترك شاردة ولا واردة فى حديثهما إلا ويقف عندها ويحللها ويعقب عليها ويستخرج منها دليلا ضدهما ، وهو يضعهما فى الموقف ذاته الذى وضعا فيه عامل السكة الحديد وينصب لهما الأحابيل بالطريقة نفسها التى كانا يستخدمانها مع هذا العامل ، وهو يظهر لهما سخف ادعاءاتهما وينسف خطوط دفاعهما الواحد بعد الآخر . وهو يجد لذة خبيثة فى احراجهما وتحطيم معنوياتهما والعبث بمشاعرهما ، فنجده بعد أن يكدس الاتهامات على رأسيهما ويذلهما ويقطع عليهما سبل الرجاء ، فيتصوران أنه عدوهما الأكبر ، يطامن من لهجته فجأة ويزجي لهما

معسول الكلام ويؤكد لهما أنه يفهم موقفهما وأنه لا يبغى فى الواقع إلا مساعدتهما . إنه ينتقل بهما من حالة اليأس إلى حالة الرجاء ولكنه لا يلبث أن يبث البلبلة في نفسيهما بل يذهب فى الدهاء إلى حد استدراجهما إلى الاعتراف بأقوال لم تصدر منهما وبمواقف لم يقفاها وما كان من الممكن أن يقفاها .

على أن هذه المسرحية إذا كانت فى ظاهرها مسرحية تهاجم الشرطة لا تهاجمها لذاتها بل باعتبارها ممثلة لسلطة الدولة ، فإن الدولة تستخدمها لتنفيذ سياستها القمعية . الشرطة إذن هى الأداة . أما اليد التى تضرب والتى تقع عليها تبعة الظلم الذى يحيق بالمواطن فهى الدولة . وهذا واضح من كلام القاضى ، إذ يقول إنها السياسة .. كان لابد من ضرب الحركة النقابية وخلق جو من «الموت للهدامين» ، ومن تعقيبات القوميسار الرياضى ومدير البوليس حين يوقع القاضى فى روعهما أنهما سيفصلان من عملهما.

كذلك فإن البوليس ليس جهاز الدولة الوحيد الذى يهاجمه المؤلف فى المسرحية لقد أمدته قضية العامل الفوضوى بالمادة اللازمة لمهاجمة السلطة القضائية كذلك ، فإن وكيل النيابة الذى حقق فى واقعة موت هذا العامل قرر أن هذا الموت كان نتيجة حادث لا نتيجة اعتداء وقع عليه ، ثم جاء قاضى التحقيق فأقر هذا التكييف القانونى وقرر حفظ القضية ، وقد سجل «فو» هذا القرار فى المسرحية أكثر من مرة ليبرز تواطؤ وكيل النيابة وقاضى التحقيق ، أى السلطة القضائية ، مع السلطة التنفيذية فى إخفاء معالم جريمة اعتداء قوميسار البوليس على العامل اعتداء أفضى إلى موته ، هذه الجريمة التى كشفت أمرها المحكمة التى

عرضت عليها القضية تحت ضغط الرأى العام ، وقد هاجم المؤلف السلطة القضائية فى ثلاثة مواضع أخرى من المسرحية أولها ما جاء فى كلام المجنون مع القوميسار برتوزو حين قال له إن القضاة يملكون تحطيم أو إنقاذ أى رجل كما ومتى شاءوا ، وأنهم كلما شاخوا وشاخت ملكاتهم انتخبوا للمناصب العليا وأسندت لهم القضايا المهمة ، وأنهم «شبه مقدسين» ، ثم حين قارن موقف القضاء من شهادة أصحاب المعاشات فى قضية العامل الفوضوى بموقفه من شهود خزان «فاجونت» الذى أدى انهياره ، إلى مصرع أكثر من ألفين من المواطنين ، وهى حادثة حقيقية ولو أن المؤلف يدعى أنها من تأليفه ، وأخيرا حين ذكّر فى المسرحية بالقاضى ماروني ، الذى قدم سنة ١٩٧٠ للمحاكمة لأنه صرح بأن العدالة فى ايطاليا عدالة طبقية على أن حملة المسرحية على القضاء تتبدى أكثر ما تتبدى فى دور القاضى الذى لعبه المجنون : إن الطريقة التى أدار بها القاضى تحقيقه مع قوميسار البوليس السياسى ومدير البوليس لا تختلف فى شىء عن تلك التى اتبعها البوليس مع عامل السكة الحديد ومع الراقص ، وهى طريقة فيها من العسف والخديعة وامتهان حقوق المواطن ما يتعارض وأبسط مبادىء العدل والقانون .

بيد أن السلطتين التنفيذية والقضائية ليستا وحدهما موضع هجوم المؤلف فى هذه المسرحية . إنه يهاجم نظام الدولة كله فى شخص رئيس الجمهورية الذى يجعل القوميسار برتوزو يكتب على ظهر صورته : «هذا دجال كذاب وهو مجنون» والذى يجعل القوميسار الثانى يمزق صورته . وهو لا يكتفى بذلك بل يهاجم الحكومات الاجتماعية

الديمقراطية ويعنى بها حكومات الدول الرأسمالية ويقول إن الفضيحة فى هذه الدول إنما هى السماد للحكومات ويضرب أمثلة على ذلك بانجلترا التى دخل وزير حربيتها بروفومو دوامة العاهرات والمخدرات والجاسوسية دون أن تنهار الدولة أو البورصة ، وأمريكا التى لم تفرض فيها الرقابة على المذابح التى ارتكبها الجنود الأمريكيون فى فيتنام ولا على منظر عربات الغاز الذى يصيب من يستنشقه بالشلل والذى سكبت منه فى المحيط كميات تكفى ، إذا تحطمت أوعيتها ، لإفناء الجنس البشرى كله ثلاث مرات ، والتى قتل فيها كثير من زعماء حركات السود . والمسرحية تهاجم الكنيسة أيضا ، فقد تحدثت عن نفاق الجزويت وعن القديس جريجوار الذى يقول فيها «مرحبا بالفضيحة لأنها هى التى يرتكز عليها سلطان الدولة المقيم» وهى تجعل من المجنون أسقفا معينا من قبل الفاتيكان كمراقب اتصال لدى البوليس الايطالى ، مشيرا بذلك من طرف خفى إلى أن الكنيسة بحاجة دائما إلى حماية الدولة ، كما أن المسرحية تجعل رجال البوليس والصحفية يقبلون خاتم الأسقف ، علامة على خضوعهم لسلطان الكنيسة .



السخرية

كيف يعالج كاتب مسرحى موضوعات هى بطبيعتها موضوعات جدية ، بل بالغة الجدية ، كموضوعات هذه المسرحية ، بأسلوب فكاهى ؟

لقد فعل «فو» ذلك بثلاث طرق : باستخدام سلاح السخرية ضد رجال البوليس وبتضمين حوار مسرحيته جملا أو ملاحظات لا يتوقعها المرء ولا يملك معها إلا أن يبتسم أو يقهقه ، وأخيرا بخلق أو وصف مواقف

مضحكة . وقد استعان فى ذلك كله بأساليب مسرح ما كان يسمى بالـ «كوميديا ديللارتى» الذى عرفته إيطاليا فى القرن الخامس عشر وبفن التهريج الذى كان يمارسه مضحكو الملوك فى العصور الخالية .

وقد سخر «فو» من رجال البوليس فى مشهد القوميسار الأول الذى اضطر رغم عجرفته إلى اتخاذ موقف الدفاع أمام متهم لا يستهان به، بل أصبح كالفأر فى المصيدة حين هدده المجنون بإلقاء نفسه من النافذة . كذلك سخر من قوميسار البوليس السياسى ومن المدير خلال المكالمة التليفونية التى تلقاها وهو فى مكتب القوميسار برتوزو وأوقع بين ضباط البوليس واستخدم فى حديثه التليفونى أصواتا وعبارات تدل على الاستخفاف الشديد ، وربط بين منطقة كالابريا التى قال إن قوميسار البوليس السياسى سينقل إليها وإن مكتبه فيها سيشبه القبر وبين اسم القوميسار كالابريزى وحقيقة أنه قتل وثوى فى قبره . وسخر المؤلف من البوليس حين جعل القوميسار الرياضى ومدير البوليس يستغيثان فى يأس ويطلبان النجدة فى أحد المواقف ، وحين جعل المجنون يركل المدير ويصفع القوميسارين على قفاهما ، وحين ضغط على رجال البوليس وجعلهم ينشدون النشيد الذى كان الفوضويون ينشدونه وهم يساقون إلى المنفى . وسخر من الضابط برتوزو حين كمم القوميسار الرياضى ورئيسه المدير فمه بـ «بزازة» لمنعه من الكلام ، كما سخر منهم حين جعل الأسقف يحقن القوميسار الأول والمدير بإبرة مسكنة أخرجها من كتاب الصلوات ، وهى ولا شك إشارة إلى قول ماركس المشهور بأن الدين مخدر الشعوب .

وفى حوار المسرحية أيضا جمل وملاحظات تأخذ القارىء والمتفرج على غرة وتثير ضحكه ومعظمها سهام موجهة إلى البوليس كقول المجنون

للقوميسار الذى كان يجرى معه التحقيق : «إن تسويد صحيفة سوابق بيضاء شىء يسيل له لعاب أى شخص، وهو يعنى بطبيعة الحال أن المتعة الحقيقية لرجل البوليس ليست فى معرفة الحقيقة بل فى إدانة المتهمين بالحق وبالباطل ؛ ورده على القوميسار برتوزو الذى قال : إنه ليس أكثر منه جنونا : «من المؤكد أن مهنتك بطبيعتها تعرض صاحبها لعديد من التغيرات النفسية» ؛ وقوله للقوميسار ذاته وهو يرجوه ألا يفرج عنه إنه سيساعده فى حمل المتهمين بالعمل على قلب نظام الحكم على الكلام وأنه يجيد صنع لبوس الجلسرين بالنترات ، وهى إشارة إلى إحدى وسائل التعذيب التى كان يلجأ إليها البوليس الايطالى لحمل المتهمين على الاعتراف وقوله فى التليفون : «حضرة القوميسار يلقى شخصا من النافذة !» ؛ وملحوظته حين قال له مدير البوليس إن الشبهة اتجهت إلى رجل السكة الحديد باعتباره الفوضوى الوحيد بينهم ؛ وصيحته : «تحيا نوبة الهلع المحررة!» ، وحديثه عن تغيير شعار البوليس وعن الأشخاص الذين يخترعون الأكاذيب لغرض واحد هو أن يقادوا إلى مركز البوليس ؛ وقوله إن الفوضوى مثل دور الشخص الذى استاء لكى تكون لديه ذريعة منطقيـــة للانتحار ؛ وتفسيره للسبب الذى يجعل الفوضويين يقتلون الملوك ؛ ووضع عبارة فى ملفه تشير إلى أنه تسبب فى حريق مكتبة الاسكندرية فى القرن الثانى قبل الميلاد ! .

أما المواقف ووصف المواقف المضحكة فكثيرة منها تقمص البطل لشخصيات عدة الواحدة بعد الأخرى وانخداع الناس بتنكره ، ومنها وصفه للطريقة التى يجب أن يقرأ بها القوميسار الفاصلة التى تفصل بين مختلف المهن الواردة فى بطاقته ، والكيفية التى كان يعد بها نفسه

لتمثيل دور القاضى ، وخروجه من سياق المسرحية ليقول للجمهور ، إن من لبوا نداء مدير البوليس هم ممثلون وليسوا المخبرين الحقيقيين ، ومنها عرق رقبته الذى ينبض كلما كذب شخص من الأشخاص عليه أو بدل الحقيقة ، ومنها بلعه لعينه الزجاجية ورجاؤه أن تشفيه من الصداع ، ومشاهد أصحاب المعاشات الذين يلعبون الورق ، ومشهد رجلى البوليس الأمريكيين فى زيارتهما للمتظاهر الذى كان يحمل لافتة تنادى بوقف الاستغلال .. إلخ .

لقد قال داريو فو على لسان المجنون فى أول المسرحية إنه من أنصار ما أسماه «مسرح الحقيقة» وإنه لذلك يحتاج إلى فرقة مسرحية تتكون من أشخاص حقيقيين لا يعرفون أنهم يمثلون . والمسرحية فى الواقع هى تطبيق عملى لهذا القول . وإذا كان المؤلف قد ذكر فى تقديم المسرحية إن واقعتها الرئيسية حدثت فى أمريكا وأنه نقلها إلى ايطاليا وإلى ميلانو بالذات «لكى يصور هذه الواقعة تصويرا دراميا يتمشى مع الظروف الحالية » ، وتعمد الخلط بين واشنطن وروما وبين سان فرانسيسكو وبرجام الايطالية ، فقد أراد أن يقول إن نقده لا ينصرف إلى إيطاليا وحدها وإنما إلى امريكا والعالم الرأسمالى بأكمله .

وقد نعى بعض المعلقين على «فو» أنه قصر نقده على العالم الرأسمالى وعلى اليمين المتطرف ولم يتعرض بالنقد للشيوعية ولدول اشتراكية كالاتحاد السوفييتى ارتكبت فيها جرائم راح ضحيتها عشرات الملايين من البشر ، لا سيما أن فوضوية باكونين كانت تعادى الشيوعية وملكية الدولة لأدوات الإنتاج عداءها للرأسمالية وأن ماركس طرد باكونين من الدولية الأولى ، ولكن هذه الاعتبارات لا تعنينا هنا لأنها

تتعلق بالمؤلف لا بالعمل . والذى لا جدال فيه هو أن «موت فوضوى قضاء وقدرا» عمل مسرحى جليل بغض النظر عن مذهب مؤلفه السياسى ، فقد وفق هذا المؤلف فيه إلى معالجة موضوعه الصعب معالجة ناجحة وأثبت أن باستطاعة المسرحية السياسية إذا توافر لها البناء المتين والحبكة المحكمة والحوار الذكى والمفاجأة الطريفة أن تستغنى تماما عن العنصر الرومانسى وأن تشد اهتمام الجماهير متخطية حواجز الزمان والمكان .

وإذا كان بعض نقاد الأدب فى إيطاليا قد اعترضوا على قرار منح «فو» جائزة نوبل للأدب بدعوى أنه رجل مسرح وليس من زمرة الأدباء ، فقد رد «فو» علي اعتراضهم بأن موليير وشكسبير ، بدورهما ، كانا من رجال المسرح ولو أنه لا يقارن نفسه بأيهما . وفى رأينا - استنادا إلى دراستنا لهذه المسرحية - أن كون «فو» رجل مسرح ميزة تحسب له لا عيب يؤخذ عليه ، فقد استطاع أن يعبىء كل امكانيات المسرح ، الذى ملك ناصيته كمخرج وكممثل وأحاط بأسراره فى كتابة هذه المسرحية السياسية فجعل القارىء والمشاهد يتابعان أحداثها باهتمام دون أن يحسا بلحظة ملل واحدة ، ولو أن بطلها لم يغادر خشبة المسرح من البداية للنهاية وبرغم كونها لا تتضمن قصة غرامية من أى نوع . وأخيرا فإذا لم يكن من قبيل الأدب مسرحية تتصدى فى عمق وجدية ، من خلال مجموعة من الوقائع الحقيقية ، لحالة الفقراء والمستضعفين والمظلومين وتعالج مشكلات أساسية يتعرض لها الناس فى كل مكان فى العالم ، فما هو الأدب ؟ .

المترجم

الأشخاص

المجنـــــــون

مدير البوليس

قوميسار بوليس

قوميسار بوليس ثان

شــــاويش

شاويش ثان

صحفية

تقديم

هذه الكوميديا تروى حادثة حقيقية وقعت سنة ١٩٢١ في أمريكا: فوضوى اسمه «سالسيدو» وهو مهاجر إيطالى ، «وقع» من نافذة إدارة البوليس المركزية بنيويورك ، الكائنة فى الطابق الرابع عشر وأعلن رئيس البوليس أن الحادثة حادثة انتحار .

وأجرى تحقيق أول على يد البوليس ، ثم أجرى القضاء تحقيقا مضادا . وثبت أن رجال البوليس قذفوا بالفوضوى من النافذة أثناء استجوابه .

ولكى نصور هذه الواقعة تصويرا دراميا يتمشى مع الظروف الحالية ، سمحنا لنفسنا باللجوء إلى استراتيجية مألوفة فى عالم المسرح ، فنقلنا الحدث كله إلى عصرنا ، وجعلناه يدور لا فى نيويورك ، وإنما فى مدينة ايطالية ، ولنقل «ميلانو» .

وكان من المنطقى ، تفاديا للمفارقات ، أن نطلق اسم قوميسار البوليس على من يسميه الأمريكان بالشريف واسم مدير البوليس على من يسمونه بالمفتش وهكذا .

وثمة ملاحظة أخرى : كل شبه بين هذه الكوميديا وبين الأحداث والشخصيات التى كانت حديث الساعة فى زمننا يتعين إرجاعه إلى ذلك السحر الخفى الذى يتميز به المسرح والذى كثيرا ما يعود إليه الفضل فى أن الحقيقة تحاكى أحيانا قصصا لا تخطر على بال عاقل ، هى محض اختلاق !.

الوقت الأول

«غرفة عادية فى إدارة البوليس المركزية . مكتب وخزانة وبعض الكراسى وآلة كاتبة وتليفون ونافذة وبابان »

القوميسار: (يتصفح ملفات أمامه ويخاطب متهما جالسا فى هدوء) هه . هذه إذن ليست أول مرة تتنكر فيها . أرى من هذه الأوراق أنك انتحلت مرتين صفة الجراح ، ومرة صفة كابتن فى سلاح المشاة ، وثلاث مرات صفة الأسقف ، ومرة صفة المهندس البحرى ، وقد قبض عليك، دعنى أرى .. اثنان وثلاثة خمسة ، مرة ، ثلاث مرات ، مرتان .. إحدى عشرة مرة . وهذه هى المرة الثانية عشرة .

المتهم : أجل .. اثنتا عشرة مرة قبض علىّ فيها .. ولكننى استرعى نظرك يا حضرة القوميسار ، إلى أنه لم يصدر علىّ حكم ولا مرة .. وصحيفة سوابقى نظيفة تماما .

القوميسار: ترى ما هى الحيلة التى مكنتك دائما من الإفلات . على أى حال، أؤكد لك أننى سأسوّد صحيفة سوابقك هذه المرة .. أقسم على ذلك !

المتهم : أفهمك ، يا حضرة القوميسار : تسويد صحيفة سوابق بيضاء شىء يسيل له لعاب أى شخص .

القوميسار: تماما ، يا خفيف الظل .. صاحب الشكوى المقدمة ضدك يقول إنك انتحلت صفة طبيب نفسانى ، وصفة أستاذ يقوم بالتدريس فى جامعة «بادوا» .. أتعرف أن انتحال صفة كاذبة واستغلال هذه الصفة عقوبتهما السجن ؟.

المتهـــم : نعم ، متى كانا صادرين عن شخص سليم العقل . أما أنا فمجنون . مجنون رسمى . أنظر ملفى الطبى : دخلت مستشفى الأمراض العقلية ست عشرة مرة .. لسبب واحد لا يتغير . أنا مصاب بهوس التمثيل ، وهم يسمونه بالـ «استريومانيا» ، اشتقاقا من الكلمة اللاتينية «استريونيس» ، أى الممثل . وهوايتى هى تمثيل أدوار .. أدوار مختلفة تماما . على أننى من أنصار «مسرح الحقيقة» ، ولذا فأنا محتاج إلى فرقة مسرحية تتكون من أشخاص حقيقيين .. لا يعرفون أنهم يمثلون .. ومن جهة أخرى فإنى رجل فقير ولا طاقة لى بدفع أجور لهم .. وقد طلبت إعانات من وزارة العروض المسرحية ، ولكننى لم أحصل عليها لأننى أفتقر إلى التأييد السياسى ..

القوميسار : ولذلك .. فالممثلون هم الذين يقدمون إليك الإعانات .. وأنت تنصب عليهم .

المتهـــم : أنا فى حياتى لم أنصب على أحد !

القوميسار : مهلا : أما تقاضيت عشرين ألف ليرة عن زيارة ..

الشاويش : (الواقف خلف المتهم) أتعاب هذه أم خراب بيوت ؟!

المتهـــم : إنها الأتعاب المعتادة لطبيب نفسانى يحترم نفسه .. لشخص قضى ستة عشر عاما فى دراسة عين التخصص .

القوميسار :صحيح ، ولكن متى كانت هذه الدراسة ؟

المتهـــم : أنا قضيت عشرين عاما فى الدراسة ، قضيتها فى ستة عشر مستشفى من مستشفيات الأمراض العقلية المختلفة . دراسة ألوان من المجانين أمثالى .. يوما بعد يوم . وحتى فى الليل . لأنى –

بخلاف الأطباء النفسانيين العاديين - كنت أنام معهم .. أحيانا وأنا واقف ، مع اثنين آخرين ، لقلة الأسرّة فى هذه المستشفيات . أيا كان الأمر ، استعلم ، وسترى أن تشخيصى لحالة المريض المصاب بانفصام الشخصية ، وهو الذى كان السبب فى اتهامى ، كان تشخيصا سليما لا غبار عليه .

القوميسار : والعشرون ألف ليرة أيضا لا غبار عليها ! .

المتهـــم : ولكن ، يا حضـرة القـومـيـسـار ، لقـد اضطررت لذلك رعـاية لمصلحته.

القوميسار :كذا ؟ هل كان هذا جزءا من العلاج ؟ .

المتهـــم : بالتـأكيد . إن لم أطلب العشرين ألفا ، أتحسب أن هذا الرجل المسكين ، أو أن أقاربه كانوا سيرضون ؟ لو أننى اكتفيت بطلب خمسة آلاف لقالوا لأنفسهم قطعا : «لابد أن هذا طبيب قليل الشأن . لعله ليس «بروفيسور» حقيقيا .. لعله لم يحصل على البكالوريوس إلا مؤخرا .. إنه مبتدىء» . أما حين أطلقت عليهم قـذيفة الأتـعاب ، فقد شـهقوا وقالوا لأنفسهم : «من هذا ؟ .. إنه مبـعوث العناية الإلهية» .. وانصرفوا قريرى العين ، وكأنهم فى عيد القيامة .. بل لقد قبلوا يدى .. «شكرا ، سيدى البروفيسور» .. وبكوا من شدة الانفعال .

القوميسار : يا لبراعتك فى عرض الأمور ..

المتهـــم : ولكننى لا أفرح ، يا حضـرة القـوميـسار ! فرويد ذاته يقول : «الأتعاب الحـراقـة هى خير ترياق ، سـواء بالنـسـبة للطبيب أو بالنسبة للمريض !» .

القوميسار : جائز .. أيا كان الأمر ، انظر إلى الـ «كارت ڤيزيت» وإلى دفتر الروشتات اللذين تستخدمهما . إن لم أكن مخطئا منذ كتبت عليهما : «البروفيسور انطونيو رابى . نفسانى . سابقا ، مدرس بجامعة بادوا» . تفضل بالشرح .

المتهم : قبل كل شىء ، أنا بروفيسور بالفعل .. بروفيسور رسم .. الديكور والرسم الحر ، فى الدروس المسائية التى تعطى فى مدرسة «ساكروريدنتور» ..

القوميسار : تهانئى ! لكنك تقول هنا : «نفسانى» !

المتهم : تماما ، ولكن بعد النقطة ! أتفهم فى الأجرومية ! وعلامات الترقيم؟ خل بالك : «البروفيسور انطونيو رابى ، نقطة» ! والآن ، أنا حين أقول أننى نفسانى ، لا أنتحل صفة . أنا مثل الشخص الذى يقول : «أنا سيكولوچى .. أو نباتى .. أو من أكلة الأعشاب .. أو .. أنا مصاب بالتهاب المفاصل» أتفهم فى الأجرومية وفى اللغة الإيطالية ؟ نعم ؟ إذن لابد أنك تعرف أن المرء إذا كتب «عالم آثار» ، كان كمن يكتب «مدينة برجام» .. وهذا لا يعنى أنه درس دراسة جامعية !.

القوميسار : نعم ، ولكن : «سابقا ، مدرس بجامعة» ؟

المتهم : لا تؤاخذنى ولكن ، هذه المرة ، أنت الذى تنتحل صفة ليست لك : لقد قلت إنك تعرف اللغة الإيطالية والأجرومية وعلامات الترقيم ، وإذا بى أكتشف أنك لا تعرف حتى القراءة الصحيحة ..

القوميسار : كيف لا أعرف ..

المتهم : ألم تر الفاصلة بعد كلمة «سابقا» ؟ .

القوميسار : صحيح ، هناك فاصلة .. معك حق . فاتنى ذلك .

المتهـــم : معى حق .. «فاتك» ؟ وبدعوى أن هذا فاتك فإنك تريد أن تزج فى السجن برجل برىء ! .

القوميسار : ولكنك مجنون بحق وحقيق ! ما دخل الفاصلة هنا !

المتهـــم : لا دخل لها إذا كان المرء يجهل اللغة الإيطالية والأجرومية . ستحدثنى بعد قليل عن شهادتك وعمن منحها لك . دعنى الآن أكمل كلامى . الفاصلة هى مفتاح كل شىء . أتذكر ؟ إذا كانت هناك فاصلة بعد «سابقا» ، فإن معنى الجملة يتغير كلية . بعد الفاصلة يجب أن تأخذ شهيقا .. وقفة قصيرة مقصودة ..فإن «الفاصلة تفترض دائما تغيرا فى القصة» ستقرأ إذن : «سابقا» (ومن المناسب هنا أن يعبر الوجه عن السخرية .. وإذا أراد المتحدث أن يلوى تقاطيعه هنا بصورة تنم عن الاستهزاء والاستغفال ، يكون أحسن !) . وإذن تكون القراءة الصحيحة للعبارة كالآتى : ومدرس بالجامعة ، فاصلة أخرى ، بادوا» . والمعنى هو : سابقا .. **(يلوى وجهه ويضحك ضحكة قصيرة)** ، دعك من هذا الهراء .. هذا يصدقك .. لا يصدق هذا الكلام سوى مغفل ! .

القوميسار : معنى هذا أننى مغفل ؟ .

المتهـــم : لا . أنت فقط جاهل بالأجرومية . وإن شئت فبوسعى أن أعطيك بعض الدروس ، ولن أغالى فى الأجر .. نستطيع أن نبدأ على الفور .. الشوط أمامنا طويل . اذكر لى أسماء الزمان والمكان .

القوميسار : كفى لعبا بالذقون . أنا أظن أنك حقيقة شخص مصاب بهوس التمثيل : أنت تمثل حتى دور المجنون ، مع أنك – أراهن ! – لست أكثر منى جنونا .

المتهــم : من يدرى ؟ من المؤكد أن مهنتك ، بطبيعتها ، تعرض صاحبها لعديد من التغيرات النفسية .. أرنى عينك **«يخفض جفن القوميسار بسبابته»** .

القوميسار : دعنا من هذا : لنواصل أخذ أقوالك .

المتهــم : إن شئت فإنى أستطيع أن أقوم بالكتابة على الآلة الكاتبة . أنا حاصل على دبلوم «تايبست» وأكتب بسرعة ٤٥ دقة فى الدقيقة .

القوميسار : كفى ، وإلا وضعت القيد الحديدى فى يديك !

المتهــم : أنت لا تملك هذا ! إما قميص المجانين أو لا شىء . أنا مجنون . وإذا وضعت يدى فى الحديد انطبقت عليك المادة ١٢٢ من قانون العقوبات ، ونصها : «الذى يستغل صفته كموظف عمومى فى استخدام وسائل قهرية غير طبية أو غير نفسية مع شخص مصاب بمرض عقلى ، وينتج عن ذلك أزمات تتعلق بمرضه ، يرتكب جناية تتراوح عقوبتها بين خمس وخمس عشرة سنة سجنا ويفقد حقوقه فى المعاش والرتبة » .

القوميسار : أرى أنك تفهم أيضا فى القانون .

المتهــم : فى القانون ؟ أنا أفهم فى كل شىء ! أنا أدرس القانون منذ عشرين سنة ! .

القوميسار : كم سنك إذن ؟ ثلاثمائة سنة ؟ أين تعلمت القانون؟ .

المتهــم : فى مستشفى الأمراض العقلية ! أنت لا تتصور الدراسات التى بوسع المرء أن يدرسها فيه . كاتب محكمة مصاب بجنون العظمة كان هناك وكان يلقننى دروسا فى القانون .. عبقرى ! أنا أعرف كل

شيء : القانون الروماني والقانون الحديث وقانون الكنيسة ..
ومجموعة جوستنيان .ومجموعة فريدريك .. والمجموعة اللومباردية
.. اليونانية الأورثوذوكسية .. كل شيء . حاول أن تسألني .

القوميسار : لا وقت عندي .. مع ذلك فإن البيانات الخاصة بك ليس فيها ما يفيد أنك كنت قاضيا ، ولا حتى محاميا .

المتهـــم : لا ، لا . أنا لن أكون محاميا أبدا ! أنا لا أحب الدفاع ، إنه فن سلبي . أنا أحب أن أحاكم .. أن أحكم بالعقوبة ..أن أردع .. أن أقاضي .. أنا واحد منكم ..يا عزيزي القوميسار . لنتحدث بضمير المخاطب المفرد .

القوميسار : إياك ، أيها المجنون ، أن ترفع الكلفة . إياك أن تستهبل !

المتهـــم : اعتبر أني لم أقل شيئاً .

القوميسار : والآن : سبق أن انتحلت صفة القاضي . حدث هذا أم لم يحدث ؟.

المتهـــم : لا . الفرصة – للأسف – لم تتح لي حتى الآن . كم أود أن أكون قاضيا ! مهنة القاضي خير مهنة . أولا لأنه لا يحال أبدا ، تقريبا ، على التقاعد .. بالعكس .. في اللحظة التي يصبح فيها الرجل العادي ، العامل – أيا كان – في الخامسة والخمسين أو الستين صالحًا للطرد لأنه أصبح متراخيا شيئا ما ولأن ردود فعله أصبحت بطيئة ، نجد القاضي يصل إلى قمة حياته الوظيفية . العامل الذي يقضي سنوات في المصنع يؤدي حركة واحدة في سلسلة الإنتاج أو واقفا أمام آلة قصّ المعادن ، حين يصل إلى سن الخمسين يكون قد انتهى : هو كثير التأخير كثير الحوادث ، ويجب فصله . وعامل

المناجم ، حين يصل إلى سن الخامسة والخمسين يكون قد أصيب بالسليكوز .. «هيا ! إلى الخارج .. إلى القمامة ! أنت مرفوت» .. بسرعة قبل أن يستحق له معاش . كذلك الحال بالنسبة لموظف البنوك . إنه ابتداء من سن معينة يخطىء العد وينسى أسماء الشركات والعملاء وسعر الخصم ورقم خزانة هذا العميل أو ذاك .. «هيا .: إلى الخارج ، إلى البيت .. اذهب .. لقد شخت .. أنت لا تصلح لشيء » أما القضاة ، فالأمر نقيض هذا بالنسبة لهم : كلما شاخوا وشاخت ملكاتهم كلما انتخبوا للمناصب العليا وأسندت إليهم القضايا المهمة الخطيرة ! أنت ترى عجائز أدركهم الهرم والنحول ، يرتدون «الكوردون» وياقات الفرو والقبعات العالية ذات الأشرطة الذهبية التي تجعلهم يبدون وكأنهم «كومبارس» في مسرحية «خبّاز فينيسيا الصغير» ، ويسيرون في ترنح ، بوجوه مخددة كسدادات قوارير نبيذ «ڤال جاردينا» ، ونظارات مشبوكة بسلاسل لأنهم إن فقدوها نسوا أين وضعوها .. هذه الشخصيات تملك سلطة تحطيم أو إنقاذ أي رجل ، كما ومتى شاءت . إنهم ينطقون أحكام الأشغال الشاقة بنفس البساطة التي يقول بها غيرهم : «أظن أن السماء ستمطر غدا» «حكمت عليك بخمسين سنة .. وعليك أنت بثلاثين ، أما أنت فقد حكمت عليك بعشرين سنةً فقط ، لأني استلطفك !» إنهم يقررون ويشرّعون وينطقون بالأحكام .وهم شبه مقدسين . لا يجب أن ننسى أن نقد رجال القضاء عندنا .كما في العربية السعودية ، لا يزال يعتبر جريمة عيب . أجل . أجل . يا للقضاء من مهنة ، ويا للقاضي من شخصية . أنا على استعداد لدفع أي ثمن كي أمثل هذا الدور مرة على الأقل في حياتي . دور

كبير مستشارى النقض ، عالى المقام . «يا سعادة المستشار ، تفضل بالجلوس . سكوت . قيام . أيها السادة : المحكمة !» «أوه .. أنظر ، هل ضاعت منك عظمة ؟ هل هى عظمتك ؟» «لا ، مستحيل . أنا لم يعد عندى عظام» .

القوميسار : ألم تنته من خزعبلاتك ؟ قلبت دماغى . اجلس ، والزم الصمت .

«يدفعه إلى الكرسى» .

المتهـــم : **(برد فعل هستيرى)** ارفع يديك وإلا عضضتك!.

القوميسار : عضضت من ؟

المتهـــم : أنت .. فى رقبتك ، وأيضا فى مؤخرتك ! وإذا صدر منك رد فعل عنيف ، فهناك المادة ١٢٢ مكرر : «الاستثارة واستعمال العنف على شخص مختل العقل ، غير مسئول عن أفعاله وعاجز عن الدفاع عن نفسه جناية تتراوح عقوبتها بين ست وتسع سنوات ، مع فقد الحق فى المعاش !».

القوميسار : إجلس ، وإلا نفد صبرى ! **(للشاويش)** وأنت ، ما وظيفتك، أيها اللوح، القه على الكرسى !.

الشـاويش : أمرك ، ياسيدى ، ولكنه يعض.

المتهـــم : بالتأكيد، أعض **(يزمجر كالكلب الغاضب)** ليكن فى علمك أنى مصاب بالسعار. السعار انتقل إلىّ من كلب. كلب مسعور التهم نصف عجيزتى، ولكنه مات. أما أنا فقد شفيت . شفيت ولكننى معد.

«يزمجر من جديد كالكلب المسعور» ! .

القوميسار : لم يكن ينقصنا غير مجنون مصاب بالسعار المعدى. ستتركنى أنهى هذا المحضر أم لا؟ هيا .. اسمع الكلام وسأطلق سراحك حين ننتهى .. أعدك بذلك .

المتهم : لا . لا تطردنى ، أرجوك ، ياحضرة القوميسار. أنا سعيد بوجودى معك .. لدى البوليس .. أحس بأنى محمى . أما فى الخارج، فى الشارع ، فالمخاطر كثيرة.. الناس شريرون . هم يقودون سياراتهم، ويطلقون «الكلاكسون» ، وفراملهم حين يتوقفون تحدث صوتا مزعجا.. وهم يضربون عن العمل. وهناك أتوبيسات .ومترو أبواب عرباته تنقفل فجأة.. وأشخاص يسقطون وتدهسهم العجلات . استبقنى هنا معك.. سأساعدك فى حمل المتهمين بالعمل على قلب نظام الحكم، على الكلام . أنا أجيد صنع لبوس الجلسرين بالنترات ! .

القوميسار : كفى ، قلت لك .. فلقتنى ! .

المتهم : ياحضرة القوميسار : استبقنى معك وإلا رميتُ نفسى من النافذة.. فى أى طابق نحن ؟ فى الطابق الثالث؟ .. حسنا ، هذا مناسب. أقفز ! وإذا قفزت ووصلت إلي تحت، بين الحياة والموت، وقد تهشمت على الرصيف ، والحشرجة تخرج من فمى .. فأنا لا أموت بسهولة. أنا أحشرج بكثرة .. وإذا وصل الصحفيون قلت لهم ، وحشرجتى مستمرة ، إنك أنت الذى ألقيتنى من النافذة . هأنا أقفز !

القوميسار : مكانك ، أرجوك ! (**للشاويش**) اقفل النافذة وسمكرها ! (**الشاويش ينفذ الأمر**) .

المتهم : إذن، سألقى بنفسى من بئر السلم (**يتجه إلى الباب**) .

القوميسار : بربك ، كفى ! قلت لك اجلس ! (**يجلسه على الكرسى بقوة**)اقفل الباب بالمفتاح أيها الشاويش وانزع المفتاح .

المتهم : وارمه من النافذة .

(الشاويش يتجه إلى النافذة فى ذهول)

القوميسار : نعم، ارمه، لا ، ضعه فى الدرج .. اقفل الدرج بالمفتاح .. انزع المفتاح.

(الشاويش يطيع بحركات آلية)

المتهم : ضعه فى فمك وابلعه !

القوميسار : لا ، لا . أنا لم أسمح لأحد قط أن يعبث بى. **(للشاويش)** أعطنى هذا المفتاح. **(يفتح الباب)** اخرج .. اذهب .. وألق نفسك، إن أردت ، من بئر السلم .. افعل ما بدا لك .. اخرج .. أنا الذى سأصاب بالجنون ! .

المتهم : لا ، ياحضرة القوميسار . هذا ليس من حقك ! لا تكن متعسفا .. لا تدفعنى هكذا، أرجوك .. ما الذى يجعلك تريد منى أن أنزل ؟ هذا ليس موقفى ! .

القوميسار : اخرج ! **(ينجح في دفعه إلي الخارج ويغلق الباب)** أف .. أخيرا !

الشاويش : اسمح لى ، ياحضرة القوميسار ، بأن أذكرك بالاجتماع المعقود لدى القوميسار «بيلاتى» .. لقد تأخرت خمس دقائق .

القوميسار : كيف ؟ كم الساعة الآن؟ **(ينظر إلى ساعته)** هذا التعس أطار برجا من عقلى . هيا بنا .. أسرع ..

(يخرجان من اليسار .. من اليمين يطل المجنون برأسه من الباب الذى خرج منه)

المجنون : اتسمح لى ، ياحضرة القوميسار؟ هل أزعجك؟ لا تغضب، جئت فقط لأسترد أوراقى .. ألا تجيبنى؟ لا تكشر فى وجهى.. لنصطلح ..

آه ! ليس هنا أحد! إذن سأستردها بنفسي.. دفترى الطبى.. دفتر روشتاتى .. آه ! هذه أيضا هى الشكوى التى قدمت فى حقى .. نمزقها .. وكأن شيئا لم يكن ! وهذه الشكوى، ضد من قدمت ، ياترى ؟ **(يقرأ)**: «سرقة بالإكراه..» كلام ! فى صيدلية .. غير مهم .. هأنتذا طليق **(يمزق هذه الشكوى كذلك)**.. وأنت، ماذا فعلت؟ **(يقرأ)** تملّك بدون وجه حق .. سبّ .. هراء .. هيا يابنى ، أنت طليق ! **(يمزق)** كلكم مطلقو السراح ! **(يتوقف ويمعن النظر فى ورقة بعينها)** أما أنت فلا .. أنت وغد .. أنت باق .. وأنت تستحق السجن. **(يفرد الورقة بعناية على المائدة ثم يفتح الصوان الملىء بالأوراق)** مكانكم جميعا ! العدالة وصلت . ياه.. كل هذه شكاوى؟ سأحرقها جميعا وأوقد بها نارا تبهج الناس! **(يأخذ ولاعته ويهم بحرق رزمة من الأوراق ويقرأ العناوين)** «تحقيقات جارية» (رزمة أخري) «قرار حفظ التحقيق» **(فى هذه اللحظة يدق جرس التليفون . المجنون يرفع السماعة رابط الجأش)** ألو . هنا مكتب القوميسار برتوزو . من المتحدث ؟ لا ، آسف، إن لم تقل لى من أنت، فلن أعطيه المكالمة.. ! من؟ القوميسار .. أنت بلحمك ودمك ؟ لا ! حقا ؟ تشرفنا .. حضرة القوميسار يلقى شخصا من النافذة ! لا ، لا شىء، لا شىء. من أين تتحدث ؟ .. طبعا ، ما أغبانى، من الطابق الرابع .. من أين غير الطابق الرابع كان يمكن أن تتحدث ؟ تسألنى من أنا ؟ أسمعت يابرتوزو، مرعب المتهمين بالعمل على قلب نظام الحكم يسأل عمن أكون .. من تظننى ؟ ليس لديك وقت؟ هيا ، هيا . يجب أن يكون

لديك وقت لزميل .. هيا ، خمّن وإلا فلن أعطيك برتوزو! من أنا ؟ «انجياري»؟ **(كأنما يحدث نفسه)** هل أنا «أنجياري؟ نعم . تخمينك في محله . أنا بالفعل القوميسار بييترو أنجياري. براڤو . ماذا أفعل في ميلانو؟ .. فضولك ليس له حدود. قل لي، بدلا من ذلك : فيم تريد برتوزو. لا ، هو لا يستطيع الحضور إلى التليفون. خبرني . قاض رفيع الدرجة؟ أرسل خصيصا من واشنطن ؟ أجل، هذا ما أعنيه، من روما. أنا أنسى أحيانا ضرورات النقل. آه . مراجع؟ طبعا . الناس في الوزارة، كما هو واضح، غير موافقين على حيثيات القاضي الذي حفظ التحقيق . ولكن، هل أنت واثق؟ إنها مجرد شائعات . هذا ما توهمته. هم في بادىء الأمر راضون تماما ثم إذا بهم يغيرون رأيهم .. آه ! تحت ضغط الرأى العام .. ما أظرفك !.. الرأى العام .. أى حفظ؟ فعلا. ها هو برتوزو يضحك ضحكة ساخرة **(يضحك وهو يبعد التليفون)** .. ها ! ها ! وهو يقوم بحركات خارجة. ها ! ها ! **(يتظاهر بأنه ينادى أحدا)**. يابرتوزو، صديقنا في الدور الرابع يقول إن بوسعك أن تضحك وتسخر، لأنه لم يكن لك ضلع في الموضوع. أما هو ، ورئيسه ، فوضعهما أشبه بالجرب. ها ، ها .. هو يقول لك حكّ جلدك جيدا ! ها ! ها ! لا ، أنا الذي يضحك هذه المرة! لا ، ذلك أنني سأكون مسرورا إذا اعتبر مدير البوليس مسئولا. بلى، هي الحقيقة . قل له إن شئت: «القوميسار انجارى سيكون مسرورا».. برتوزو أيضا من رأيي. اسمع ضحكته **(يبعد التليفون)** ها! ها ! أسمعت ؟ نحن لا نبالى حتى إن رمونا في المراحيض.. أجل، تستطيع أيضا أن تقول له :

«انجارى وبرتوزو يعتبران أن هذه الحكاية لا تساوى قلامة ظفر.»
(**يصدر منه صوت غير لائق**) ططط. نعم، هو الـــذى فعلها .
لا تثـر .. صـحـيـح أنك صـديق حـمـيـم لمدير بوليس «أوسـتـيكا» ..
و«ڤنتـوتينـى» ، ولكن ليس مـعنى هـذا أن تثـور هـذه الثـورة ! عظيم.
سنتـحـدث فـى هذا حين نلتـقى أنت وأنـا . والآن، مـا الذى تريده من
برتوزو؟ أى مستندات ؟ أجل، أَمْلِ علىّ مـا تريده وسأسجله! صـورة
قـرار الحـفظ الخـاص بموت الفـوضـوى.. على العين والرأس ..
سيرسله لك. وصور المحاضر كذلك .. أجل . هى مـوجوده هنا فى
«الأرشيف» . وإن أردت رأيى فمن الواجب أن تكونا على استعداد
أنت ومدير سجن الجزيرة السابق. لو أن القاضى الذى سيصل كان
أقل فظاعة مما يقولون.. ماذا ؟ أين يقولون هذا؟ فى روما. أنا عائد
من هناك . هم فى الواقع يروّجون إشاعة مؤداها أنهم يدبرون هذا
الاجراء ضدكم منذ فترة طويلة . بالطبع، أنا أعرف القاضى ! اسمه
«ماليبيرو». أنت لم تسمع أبدا بهذا الاسم ؟ ستسمع به . هو رجل
قضى نحو عشر سنوات فى المنفى. إسأل رئيسك، مدير السجن،
ربما . لا ، لعل الأصوب ألا تسـأله، فـقـد يصـاب بسكتة قلبـيـة،
وساعتها قل على تسليتنا السلام.. ها! ها ! ياك من رجل غضوب ،
ياجارى العزيز الذى فى الطابق الرابع، أما من سبيل للمضاحكة مع
هذا البوليس المتجهم ؟ حسـنـا . سنرسل إليك كل ما طلبته فورا.
تحياتى .. مهلا . مهلا! ها ! ها ! برتوزو قال للتو شيئاً مضحكا
للغـايـة. إذا لم تغضب قلته لك . لن تغضب؟ حسنا . سأحكيه لك
إذن : قـال إن .. ها ! ها ! انهم بعد زيارة القـاضى المراجع هذه
سيرحلونك إلى الجنوب، ربما إلى «فيبو ڤالانسيا كالابريزى» التى

يتكون مبنى البوليس فيها من طابق واحد.. أما مكتب القوميسار فهو فى الدور السفلى تحت سطح الأرض أى فى شبه مقبرة. لم تعجبك ؟ خسارة. ستعجبك المرة القادمة. (**يتظاهر بأنه يسمع ما يقال له علي التليفون**) حسنا . سأبلغه حالا .. يابرتوزو ، القومسيار الذى سينقل إلى كالابريا عما قريب يقول إنه مجرد أن يرانا أنت وأنا سيسدد إلى كل منا لكمة فى وجهه بقبضة يده! الرسالة وصلت. سأبلغها . خذ هذه (**يطلق ضرطة بفمه**) . خذها منا نحن الاثنين. انتهى! (**المجنون يضع السماعة ويسرع بالتنقيب بين المسندات**) «إلى العمل، ياسيادة القاضى، أزفت الساعة». ها، ها ! هذه فرصة، أى فرصة ، كى أثبت للعالم أجمع، ولنفسى، أن دراساتى متعمقة وأنى استحق الانتظام فى سلك القضاة ذوى المقام الرفيع. القضاة المعصومون، المقدسون .. لن تتاح لى أبدا فرصة مثل هذه !إلهى كم أنا مغفل ! كأنى أتقدم لامتحان أصعب من الدكتوراة ! إذا نجحت فى إقناعهم أنى قاضى مراجعة حقيقى.. إذا جازت عليهم الخدعة كنت أستاذا فذاً . ولكن حذار من الغفلة . لننظر أولا .. يجب قبل كل شىء أن نجد المشية المناسبة (**يمشي بخطوة فيها قليل من العرج**) . لا ، هذه مشية كبير الكتاب. المطلوب مشية شخص مصاب بالتهاب المفاصل ولكنها وقوره. هكذا بالضبط . مع انحناء قليل فى الرقبة، كحصان سيرك متقاعد .. (**يحاول ثم يعدل عن المحاولة**) . لا . أفضل من ذلك مشية «منزلقة» ، مع اختلاجة ختامية (**يمثلها**) ؟ لا بأس! ومشية «بالركب البالوظة» ؟ (**يمثلها**) أو مشية بالجرادة المتخشبة

(**يمثلها : خطوات قصيرة سريعة بكعب عال**) آه ! النظارة .. لا ، لا داعى للنظارة . العين اليمنى مقفلة قليلا .. هكذا، هكذا . القراءة بميل . كلام قليل .. وسعلة خفيفة .. حم .. حم ! لا نستغنى عن السعلة .. تشنج عضلى فى الوجه ؟ حسن . سننظر وقتها إذا كان الأمر يقتضيه . حركات معسولة، وصوت أخنف، سذاجة ، مع نبرات حادة مفاجئة من الصوت الدماغى : «لا . ياعزيزى مدير البوليس .. دعك من هذا . أنت لم تعد تدير سجنا فاشستيا . جدير بك أن تتذكر هذا من آن لآخر ! »لا ! ربما كان الأفضل نموذج عكس تماما : صوت بارد متأن ونبرة حازمة . صوت وحيد الوتر ونظرة حزينة حسيرة. نستخدم نظارة ولكن بعدسة واحدة، هكذا (**يمثلها ويتصفح الأوراق أثناء البروفة**) انظر هذا ! ها هى المستندات التى كنت أبحث عنها ! إهدأ . ما هذا التسيب ؟ أرجوك. تقمّص الشخصية فورا . أرجوك. (**بلهجة صارمة**) الكل جاهز؟ لننظر : قرار الحفظ الصادر من محكمة ميلانو .. ها! والتحقيق الخاص بالفوضويين من مجموعـــة روما. (**يحشر كل الأوراق في الحقيبة ولكنـــه يتأكد أولا من كونها فارغة : يقلبها ويهزها**) دقيقة ! يجب التأكد من أنه لم يبق فيها قطع زجاج .. من يدرى ؟ حقائب العدالة يجب هزها دائما قبل الاستعمال !.

(فى هذا الظرف، وبعد أن يأخذ من المشجب معطفا غامقا وقبعة سوداء ، يدخل القوميسار ، الذى لا يعرفه فى هذا الزى . يظل لحظة فى بلبلة) .

القوميسار : طاب صباحك . أى طلبات ؟ من تريد؟ .

المجنون : لا أريد شيئا ، ياحضرة القوميسار . عدت لأسترد أوراقى ..

القوميسار : ماذا ؟ أنت من جديد ؟ أرنى عرض أكتافك ! .

المجنون : أرجوك .. إذا كانت لديك أسباب خاصة تثير عصبيتك فلم تهاجمنى؟ .

القوميسار : اخرج ! **(يقوده إلى الباب ويدفعه خارجه) .**

المجنون : أكلكم هنا مصابون بالأمراض العصبية، ابتداء من هذا المخبول المتعجرف الذى يبحث عنك فى كل مكان لكى يحطم وجهك ؟ .

القوميسار : **(يتوقف لحظة)** من الذى يبحث عنى فى كل مكان! .

المجنون : شخص خالى البال يلبس «بلوفر» ذا ياقة ملفوفة. ألم يوجه إليك بعد لكمة؟ .

القوميسار : لكمة لى أنا ؟ .

المجنون : نعم ، لك أنت ولزميل لك .. شخص اسمه انجارى .. أو انجاريو.

القوميسار : انجيارى .. قوميسار من روما .. من البوليس السياسى؟

المجنون : من أدرانى ؟

القوميسار : وما الذى يجعله يأتى ليوجه إلىّ لكمة ، هذا الشخص خالى البال ؟

المجنون : صوت غير لائق ..

القوميسار : صوت غير لائق ؟

المجنون : نعم بل صوتان ، بالتليفون ، مع ضحكة ساخرة . ها ! ها ! ألا تذكر ؟ ها ! ها ! **(يقلد حركة ابعاد سماعة التليفون ، كما فعل من قبل) .**

القوميسار : عم تتحدث ؟ شخصية أخرى من شخصياتك ؟ .

المجنون : نعم . ستعرف أى شخصية حين بتتلقى اللكمة فى إحدى عينيك .. أنا لا أملك حتى أن أعتبره مخطئا، هذا الجار التعس الذى يعمل فى الطابق الرابع .

القوميسار : من ؟ .

المجنـــون : زميلك .. ما الذى جعلك تخبره أنك ترجو أن ينقل إلى كالابريا ليقبر فى الدور السفلى .. هو ورئيسه ، الحارس السابق فى معسكر اعتقال فاشى ؟ .

القوميسار : من تعنى ؟ مدير بوليسنا .. الذى ..

المجنـــون : الذى يديرك ويقودك ! .

القوميسار : اسمع يا صاح . فى هذا الكفاية . لقد أضعت من وقتى الكثير. أرجوك، غادر هذا المكان ، انصرف ! .

المجنـــون : نهائيا ؟ (**يرسل قبلة وداع**) متشى متشى ! (**تصدر من الضابط حركة غضب**) .. حسن ، حاضر ، أنا ذاهب ، على أى حال، إن أردت نصيحة من شخص يستلطفك .. فاحن قامتك متى رأيت الجار خالى البال ، اسمع كلامى ! (**يخرج**) .

(**القوميسار يتنفس الصعداء ثم يذهب رأسا إلى المشجب ويكتشف أنه خال تماما**)

القوميسار : (**يلاحق المجنون**) الوغد ! يسرق المعاطف بدعوى أنه مجنون.. أنت يا هذا ! (**يستوقف الشاويش الذى يدخل فى هذه اللحظة**) ، إجر وراء المجنون الذى كان هنا منذ قليل ، لقد أخذ معه معطفى وقبعتى .. وربما أيضا حافظة أوراقى .. أجل .. هذه الحافظة حافظتى ! اسرع، قبل أن يختفى ! .

الشــاويش : فورا ، ياحضرة القوميسار .. (**يقف عند عتبة الباب ويخاطب شخصا وهو يتجه إلى الخارج ، فى الكواليس**)

أجل ، سيدى ، حضرة القوميسار . موجود ، تفضل ، (**يخاطب القوميسار المنشغل بجمع الأوراق التى مزقها المجنون**) .

القوميسار : أين اختفت الشكاوى ؟.

الشــاويش : حضرة السنيور برتوزو ، قوميسار البوليس السياسى يطلب سيادتك .

(**القوميسار برتوزو يرفع رأسه من مكتبه ويقوم ويذهب للقاء الآخر تجاه الكواليس إلى اليمين**)

القوميسار : آه .. يا عزيزى .. كنت أتحدث عنك منذ لحظة مع مجنون قال لى .. هاها .. تصور ! .. إنك مجرد أن تقابلنى ستوجه إلىّ ..

(**من الكواليس يظهر ذراع بسرعة البرق ، برتوزو يجد نفسه فجأة مسجى على الأرض ، ولكنه يتحامل على نفسه ويكمل جملته**) .. لكمة! (**ينهار**) .

(**المجنون يطل برأسه من الباب ويصيح**)

المجنــون : ألم أقل لك أن تحنى قامتك !

(**ظلام . استراحة موسيقية فى العتمة لعلها «مارش» عسكرى هزلى يعلن دخول الممثلين، الوقت اللازم لتغيير الديكور، يضاء المسرح من جديد ونجد أنفسنا فى**

مكتب يشبه المكتب الأول إلى حد كبير ، قطع الأثاث هى ذاتها تقريبا ، كل ما فى الأمر أن أماكنها مختلفة ، على الجدار الخلفى صورة كبيرة لرئيس الجمهورية، فى مكان ظاهر، نافذة كبيرة مفتوحة على مصراعيها المجنون واقف علي خشبة المسرح كالمتسمر ووجهه إلي النافذة، وظهره إلي الباب ، الذي يدخل منه بعد لحظات قوميسار يرتدي سترة «سبور» وبلوفر ذا ياقة ملفوفة) .

القوميسار

الرياضى : (بصوت منخفض للشاويش الواقف بدون حراك إلى جوار الباب) من هذا وماذا يريد ؟

الشاويش : لا أدرى ، يا سيدى، لقد دخل بتعاظم وتألّه وهو يقول إنه يريد أن يتحدث إليك . إليك وإلى سيادة المدير .

القوميسار

الرياضى : (الذى لا يكف عن تدليك يده اليمنى) يريد أن يحدثنى ! (يقترب من المجنون بأدب زائد) طاب صباحك، أى طلبات ؟ قيل لى إنك تريد أن ترانى .

المجنون : (ينظر إليه ، هادىء الأعصاب ، ويحرك يده حركة من يريد أن يخلع القبعة) طاب صباحك ، (يركز بصره فى اليد التى لايزال القوميسار يدلكها) ماذا جرى ليدك.

القوميسار

الرياضى : لا ، لا شىء .. من سيادتك ؟

المجنون : لم يحدث لك شىء ؟ لماذا إذن تدلك يدك ؟ لاظهار رباطة جأشك أم أنها حركة عصبية لا إرادية ؟

(القوميسار يتململ)

القوميسار

الرياضى : ربما .. سألتك من الذى أتشرف بمخاطبته !

المجنون : لقد عرفت فى الماضى أسقفا كان يدلك يده بنفس الطريقة ، أسقف من الجزويت.

القوميسار

الرياضى : ما لم أكن مخطئا، أنت ..؟

المجنون : أكيد أنك مخطىء، أنت مخطىء قطعا إذا ظننت أنى أردت أن ألمح إلى نفاق الجزويت الذى جرت به الأمثال .. أول كل شىء ، إن لم يكن لديك مانع ، أنا درست فى مدارس الجزويت ، هل لديك أى اعتراض على ذلك ؟

القوميسار

الرياضى : (محرجا كالدائخ) لا ، إطلاقا .. لا .. المسألة

المجنون : (يغير لهجته فجأة) ولكن الأسقف الذى حدثتك عنه كان ، هو ، منافقا ، وكان كذابا ، وكان لا يكف عن تدليك يده.

القوميسار

الرياضى : اسمح لى ، ولكنك ..

المجنون : (دون أن يلقى إليه بالا) أنصحك باستشارة طبيب

تحليل نفساني ، هذه العادة – عادة تدليك اليد بلا توقف – عرض من أعراض الشعور بالقلق وبالذنب وبعدم الاستكفاء الجنسى، أتلاقى صعوبات فى علاقاتك بالنساء ؟

القوميسار

الرياضى : (يفقد السيطرة على أعصابه) اسمع ! (يضرب بقبضة يده على المنضدة) .

المجنـــون : (مشيرا إلى الحركة التى صدرت من القوميسار) مندفع ! ولكن هذا يفسر كل شىء ! قل الحق ، هذه ليست حركة عصبية لا إرادية، أنت لكمت شخصا منذ أقل من ربع ساعة ، اعترف !

القوميسار

الرياضى : أنا لا اعترف بشىء ، بدلا من هذا الكلام ، قل لى من سيادتك .. وتعطف ، كبداية ، بخلع قبعتك !

المجنـــون : معك حق **(يخلع قبعته ببطء مقصود)** صدقنى إننى لم أحتفظ بها على رأسى من باب عدم الاستعناء .. ولكن بسبب هذه النافذة المفتوحة ، فأنا أخشى التيارات ، لا سيما على رأسى، ألست مثلى ؟ قل لى ، ألا يمكن قفلها ؟

القوميسار

الرياضى : (بجفاء) لا ، لا يمكن !

المجنـــون : اعتبر أنى لم أقل شيئا ، أنا البروفيسور ماركو ماريا ماليبيرو، المستشار الأول لدى محكمة النقض..

القوميسار

الــرياضى : قاض ؟ (يكاد يغشى عليه) .

المجنـــــون : طبعا ، وسابقا ، مدرس بجامعة روما ، سابقا مرتان وبعد سابقا الثانية فاصلة ، كما هو الحال دائما .

القوميسار

الــرياضى : (بذهول) : فهمت .

المجنـــــون : (بسخرية عدوانية) ما الذى فهمته؟

القوميسار

الــرياضي : لا ، لا شىء .

المجنـــــون : حسن (بعدوانية متجددة) تريد أن تقول أنك لم تفهم شيئا البتة ، من الذى أنبأك أنى سأصل لمراجعة التحقيق وقرار حفظه؟

القوميسار

الــرياضى : (بفزع) الحقيقة .. أنى ..

المجنـــــون : حذار من الكذب ، الكذب شىء يثير ثائرتى .. أنا أيضا عندى حركة عصبية لا إرادية .. تنتابنى فى العنق .. ما أن أسمع شخصا يكذب .. أنظر كيف يختلج العصب .. أنظر ! إذن هل كنت - أم لم تكن - على علم بوصولى ؟

القوميسار

الــرياضى : (يبلع ريقه بارتباك) أجل ، كنت على علم به .. ولكننا لم نكن ننتظر وصولك بهذه السرعة .. هذا كل ما فى الأمر .

المجنـــــون : نعم ، وهذا بالذات هو السبب فى أن المجلس الأعلى قرر أن

يأخذ زمام المبادرة .. نحن أيضا لدينا عيون ومخبرون ، وقد أتيناكم من حيث لم تنتظرونا ، هل يسوؤك هذا ؟

القوميسار

الرياضى : (مصعوقا) لا ، أبدا ! (المجنون يشير إليه بأن عنقه يختلج) .. أعنى ... نعم .. كثيرا ، (يومىء إلى الكرسى) تفضل بالجلوس ، واعطنى قبعتك ! (يأخذ القبعة ثم يغير رأيه) اللهم إلا إذا كنت تفضل الاحتفاظ بها.

المجنون : لا ، أبدا ، خلّها معك .. هى ، على أى حال ، ليست ملكى.

القوميسار

الرياضي : ماذا ؟ (يتجه صوب النافذة) تريد أن نغلق النافذة ؟

المجنون : لا ، أبدا ، لا تزعج نفسك ، بدلا من ذلك استدع لى المدير .. فإنى أود أن أبدأ بأسرع ما يمكن .

القوميسار

الرياضى : فورا .. ولكن أليس الأفضل أن تذهب إلى مكتبه ؟.. مكتبه مريح أكثر.

المجنون : صحيح ، ولكن هذا هو المكتب الذى دارت فيه واقعة الرجل الفوضوى المزرية ، أليس كذلك ؟

القوميسار

الرياضي : نعم ، دارت هنا .

المجنون : (يفتح ذراعيه فتحة عريضة) إذن !

(يجلس، ويخرج بعض المستندات من حافظة الأوراق، نرى أنه أحضر معه

أيضا حقيبة أخرى ضخمة ، يخرج منها أدوات كثيرة ، عدسة مكبرة، وملقاطا، وأداة حكّ ، ومطرقة خشبية مما يستخدمه القضاة، ومجموعة قانون العقوبات، القوميسار عند الباب يتحدث بصوت منخفض فى أذن الشاويش) .

المجنـــون : (وهو يواصل ترتيب ملفاته) أفضّل ، يا حضرة القوميسار ، أن يتم التخاطب فى حضورى دائما بصوت عال.

القوميسار

الـرياضي : نعم ، لا تؤاخذنى ، (يتجه إلي الشاويش) قل للسيد المدير أن يتفضل بالحضور على وجه السرعة، إن استطاع...

المجنون : بل إن لم يستطع !

(القوميسار الرياضى يصحح نفسه بذلة)

القوميسار

الـرياضى : بل إن لم يستطع !

الشـاويش : (وهو خارج) أمرك .

القوميسار

الـرياضى : (يلاحظ القاضى وهو يرتب ملفاته ، القاضى يثبّت بعضها بمشابك على الجدار الجانبى وعلى دعائم النوافذ وعلى الصوان، القوميسار يتذكر فجأة ، آه .. صحيح .. المحاضر! (يمسك سماعة التليفون ويدير رقما) ألو ، اعطنى القوميسار برتوزو .. أين ذهب ؟ إلى السيد المدير ؟ (يعيد

سماعة التليفون إلى مكانها ويتهيأ لطلب رقم آخر، المجنون يقاطعه) .

المجنــــون : معذرة عن مقاطعتك ، يا عزيزى ...

القوميسار

الــرياضى : فى خدمتك ، سيدى القاضى.

المجنــــون : هذا القوميسار برتوزو الذى تحاول الاتصال به ، هل له أى دور فى مراجعة التحقيق ؟

القوميسار

الــرياضى : نعم ، أو .. على الأصح .. إنه هو الذى يحتفظ بالأرشيف وبكل ما فيه من مستندات.

المجنــــون : ليس هذا ضروريا .. لقد أحضرت معى كل شىء ، ما الداعى لطلب نسخة أخرى ؟ هل من ذلك فائدة ؟

القوميسار

الــرياضي : الحق معك ، ليس لذلك فائدة .

(يسمع فى الخارج صوت مدير البوليس ، صوت غاضب ، يدخل كالقذيفة ووراءه الشاويش مرتبكا) .

المــــدير : خبرنى يا حضرة القوميسار : ما هذه الحكاية ؟ تطلب منى الحضور إلى مكتبك حتى إذا لم أستطع؟

القوميسار الرياضى : لا . معك حق ، ياسيدى المدير . الحقيقة ..

المدير : أى حقيقة ؟ أصبحت رئيسا لى على حين فجأة ؟ فلتعلم أن هذه الطريقة الوقحة فى التعامل لاتروق لى إطلاقا ، خصوصا مع زملائك . لقد وصل بك الأمر أن تلكم أحدهم بقبضة يدك؟!

القوميسار

الرياضى : الواقع ، ياسيدى المدير .. برتوزو لم يحدثك قطعا عن ضراطة ولا عن تلاعبه ، بالألفاظ فيما يتعلق بكالابريا ومقبرتها .

(المجنون ، وهو يتظاهر بترتيب أوراقه ، يقعى ليختبىء وراء المكتب) .

المدير : أى ضراط كالابرى ؟ هذه تصرفات أطفال .. بدلا من التزام الهدوء ، وأعين الناس كلهم مركزة علينا .. وهؤلاء الصحفيون الملاعين يلمزون ويغمزون ويطلقون الشائعات ..لا ، لا تحاول اسكاتى .. سأقول كل ما يحلو لى .. **(القوميسار يشير إلى القاضى المزيف الذى يتظاهر بعدم الاكتراث)** هذا ياإلهى من هو ؟ صحفى ؟ لِمَ لم تخبرنى على الفور ؟

المجنون: **(دون أن يرفع عينيه من أوراقه)** لاتقلق ، ياسيادة المدير ، أنا لست صحفيا ، ولن يكون هناك أى قيل وقال .. أعدك بذلك .

المدير : شكرا لك .

المجنون : أنا أفهم مايشغل بالك ، وأشاطرك فيه .. وقد عنَّفت مساعدك الشاب قبل حضورك .

المدير : **(متجها الى القوميسار)** حقا ؟ .

المجنون : لقد لاحظت أن هذا الشاب سريع الغضب وضيق الصدر بطبيعته وهأنذا اكتشف من كلامك أنه أيضا لايتحمل الأصوات الكالابرية التى هى - بينى وبينك - من أخف الأصوات ، لاسيما اذا قورنت بنظيريها السورنتينى والكابوانى . ألديك علم بهما ؟ **(يجذبه اليه رافعا الكلفة المدير يتبعه مدهوشا) .**

المدير : لا فى الحقيقة ..

المجنون : (مقتربا من أذنه) صدقنى .. ياعزيزى ، المدير .. أنا أحدثك كأب : هذا الولد محتاج الى طبيب نفسانى قدير .. خذ .. خذه الى صديقى هذا .. هو عبقرى ..(يضع فى يد المدير بطاقة) البروفيسور أنطونيو رابى .. سابقا ، مدرس .. ولكن ، خذ بالك من علامة الفصل .

المدير : (الذى يجد صعوبة فى التملص) شكرا .. ولكن ، لو سمحت ، أنا ..

المجنون : (يغير لهجته فجأة) خذ حريتك .. أنا أسمح لك بالتأكيد . تفضل .. ولنبدأ على فكرة ، هل أخبرك مساعدك أنى ..؟

القوميسار الرياضي : لا ، معذرة ، ولكن الوقت لم يتح لى .. (يتجه بكلامه الى المدير) البروفيسور ماركو ماريا ماليبييرو ، المستشار الأول بمحكمة النقض ..

المجنون : أرجوك ، أسقط (المستشار الأول) . أنا غير متمسك بهذا اللقب يكفى أن تقول: (واحد من الأوائل) . حسبى هذا !

القوميسار الرياضى : كما تريد ..

المدير : (الذى يجد صعوبة فى الإفاقة من الصدمة) ياصاحب السعادة .. أنا فى الحقيقة لا أدرى .

القوميسار الرياضى : (يخف لنجدته) السيد القاضى جاء لمراجعة التحقيق الخاص بحالته ..

المدير : (ينفجر فجأة) آه ! أجل ، بالتأكيد كنا فى انتظارك !

المجنون : أرأيت ؟ أرأيت ؟ رئيسك أصدق منك ! وهو ـ بعكسك ـ يلعب

بأوراق مكشــوفة ، تعلم ! صحيح أنه من جيل آخر ، ومن مدرسة أخرى ! .

المدير : أجل من مدرسة أخرى !

المجنون : دعني أخبرك للفوز : أنت تبدو لى .. كيف أقول .. شخصا ليس غريبا . كما لو كان قد سبق لى أن عرفتك .. منذ وقت طويل .. ألم يحدثك لك أن قُيدَّت إقامتك ؟

المدير : (**متمتما**) قيدت إقامتي؟

المجنون : ماذا أقول .. مدير تقيد إقامته ؟ غير معقول ! فلنعد الى مانحن بصدده !

المدير : نحن ؟

المجنون : (**يحدجه بنظرة شزيرة**) حدث ماكنت أتوقعه ! (**يشير اليه باصبعه**) ولكن ، لا . هذا مستحيل . كفى هذيان! (**يفرك عينيه ، بينما يقول القوميسار بسرعة في أذن مدير الشرطة شيئا يجعله يتهاوي علي الكرسي ثم يوقد سيجاره بعصبية**) لنتحدث عن الوقائع، طبقا للمحاضر يتصفح الأوراق ، رقم ٢٥و٢٦و٢٧و٢٨ .. (المدير يسعل بشدة لأنه ابتلع الدخان فاختنق) مساء يوم .. التاريخ لايهمنى .. فوضوى يعمل ميكانيكيا بالسكة الحديد ، كان موجودا فى هذه الغرفة زهن الاستجواب بشأن اشتراكه أو عدم اشتراكه فى عملية تفجير ديناميت فى بعض البنوك أسفرت عن مصرع ماينهز ستة عشر من المواطنين الأبرياء ! هذه بالحرف أقوالك ، ياسيدى المدير : وكانت هناك بشأنه استدلالات خطيرة ! ألم يكن هذا ماقلته ؟

المدير : نعم ، فى البداية ، ياسيادة القاضى .. ثم ...

المجنون : نحن بالفعل فى البداية .. لنراعى الترتيب : فى حوالى منتصف الليل ، الفوضوى ، وقد تملكته نوبة هلع ، أنت ياسيادة المدير ، الذى قلت هذا الكلام ، وقد تملكته نوبة هلع ، ألقى بنفسه من النافذة وتهشم علي الأرض ، والسؤال هو : ماهى نوبة الهلع هذه ؟ إن «بانديو» يقول إن نوبة الهلع هى شكل حاد من أشكال الجزع الانتحارى ، يستبد بالشخص ، حتي لو كان سليما من الناحية السيكولوجية ، اذا ما استثيرت عنده حالة من حالات اللهفة العنيفة والقلق اليائس ، أليس كذلك ؟

المدير والقوميسار : هو كذلك .

المجنون : إذن ، فلننتظر الآن ما الذى أثار ، أو من الذى أثار ، هذه النوبة الانتحارية وهذه اللهفة ، لم يبق أمامنا إلا أن نصور الوقائع كما حدثت أترك لك ، ياسيادة المدير ، أن تعتلى خشبة المسرح .

المدير : أنا ؟

المجنون : أجل . تفضل . ألديك مانع من أن تمثل لى دخلتك الشهيرة ؟

المدير : لاتؤاخذنى : أى دخلة شهيرة ؟

المجنون : تلك التى أدت الى حدوث نوبة الهلع .

المدير : سيدى القاضى .. لابد أن هناك خلطا .. لست أنا الذى دخل ، بل هو أحد أعوانى . أحد مساعدىّ .

المجنون : لا . لا . ليس جميلا أن يحاول المرء إلقاء التبعة على مرء وسيه . بل إن هذا شيء ذميم .. هيا . لكى يغتفر لك ذلك ، ألعب الدور ..

القوميسار الرياضى : ولكن ، سيدى القاضى .. هذه كانت حيلة معروفة ، يلجأ اليها البوليس فى كل مكان لحمل المتهمين على الاعتراف .

المجنون : من الذى طلب منك أن تتحدث ؟ دع رئيسك يتكلم ، من فضلك ! أتدرى ماهو سوء التربية ؟ من الآن فصاعدا لا ترد إلا حين يوجه إليك سؤال .. مفهوم ؟ وأنت ، ياعزيزى ، أرجوك : العب لى هذه الدخلة ، مع استعمال ضمير المتكلم .

المدير : حاضر .. الأمور سارت تقريبا علي النحو الآتى : المتهم الفوضوى كان موجودا هناك .. كان يجلس فى مكانك بالضبط .. معاونى .. أريد أن أقول أنا ، دخلت بشىء من التهجم .

المجنون : عظيم !

المدير : ونزلت عليه !

المجنون : هكذا تعجبنى !

المدير : ياعزيزى الميكانيكى ، يامن تريد قلب نظام الحكم .. كفى سخرية منى..

المجنون : لا ، أرجوك .. التزم النص .. (**يشير الى المحاضر**) ليست لدينا هنا رقابة . ليس هذا ماقلته .

المدير : بلى . أنا قلت .. ألاعيبك لن تجوز علىّ!

المجنون : هل اقتصرت على كلمة ألاعيب؟

المدير : نعم ، أقسم على ذلك .

المجنون : أصدقك .. استمر .. ختمت مقطعك ؟

المدير : ولدينا الدليل على أنك أنت الذى وضعت القنابل فى المحطة .

المجنون : أى قنابل ؟

المدير : (**يخفض نبرته موضحا**) أنا أتحدث عن حادثة يوم ٢٥ ...

المجنون : لا ! أجب بعين العبارات التى استخدمتها ذلك المساء .. تصور أنى أنا عامل السكة الحديد .. هه . تشجع ! أى قنابل ؟

المدير : لاتتظاهر بالبراءة ، أنت تعرف جيدا عن أى قنابل أتحدث .. القنابل التي وضعتها في عربات القطار الواقفة فى المحطة الرئيسية منذ ثمانية أشهر .

المجنون : ولكن ، هل كان لديك حقا دليل ؟

المدير : لا ، ولكن ـ كما شرح لك القوميسار منذ برهة ـ هذه إحدى الخدع المعتادة التى كثيرا مانلجأ اليها فى أقسام البوليس .

المجنون : آه! يالها من خدعة ... **(يربت بقوة على ظهر مدير البوليس ، الذى لاتبارحه الدهشة) .**

المدير : كان لدينا مع ذلك اشتباه .. نظرا الى أن المتهم كان الفوضوى الوحيد بين عمال السكة الحديد بميلانو .. فقد كان من السهل أن نستنتج أنه هو ..

المجنون : طبعا ! هذا تحصيل حاصل .. بل هو البداهة ذاتها ... واذا كان من المؤكد أن الذى وضع القنابل فى السكك الحديدية ، أحد عمال السكك الحديدية ، فان باستطاعتنا كذلك أن ندعى أن قاضيا هو الذى وضع القنابل الأخرى الشهيرة فى دار القضاء بروما ، وأن الذى وضعهما عند تمثال الجندى المجهول هو قائد فرقة الحرس ، وأن الذى وضعهما فى البنك الزراعى إما موظف بنك أو مزارع حسب الاختيار ، **(يهيج فجأة)** قليلا من الجدية ، ياحضرات السادة ، لقد جئت الى هنا لأقوم بتحقيق جدى لا لاتلاعب بقياسات

غبية ، لنواصل عملنا إنى أقرأ هنا **(يقرأ من ورقة) (ولم يبد علي الفوضوي أنه اهتز لهذا الاتهام ، وقد ابتسم غير مصدق)** .. من الذى أدلى بهذا الكلام ؟

القوميسار الرياضى : أنا ، ياسيدى القاضى .

المجنون : عظيم .. اذن فقد ابتسم .. ولكن هنا تعليقاً آخر ، وهو كلامك أنت بنصه .. وقد أورده أيضا القاضى الذى حفظ التحقيق .. «إن أحد عوامل النوبة الانتحارية كان بلا شك خوف الرجل من فقد وظيفته ، أى من الفصل «كيف يعقل أن يبتسم الفوضوى أولا ابتسامة غير مصدقة ثم أن يتملكه الخوف بعد ذلك فجأة .. من الذى أوصى اليه بهذا الخوف ؟ من الذى أوقع فى روعه أنه سيفصل فى الحال ؟

القوميسار الرياضى : لا ، أقسم أننى .. فيما يتعلق بى ..

المجنون : أرجوك ، لا تحاول التهوين .. انتما الاثنان لستما ، بالتأكيد ، عازفى كمان ... قولا الحقيقة كل بوليس العالم معروف بخشونته .. وأنا لا أرى سببا يجعلكما الوحيدين اللذين يضعان قفازات .. ولكن من حقكما أن تتصرفا على هذا النحو .. أنا لا أفرح !

المدير والقوميسار : شكرا ياسيادة القاضى ..

المجنون : عفوا .. ومن جهة أخرى فان العملية لاتخلو أحيانا من خطر ، يقال للفوضوى «هـــذا فى غيـر صـالحك .. كـبــار مـوظفى السـكة الحديدية حين تخبرهم أنك فوضوى قد يلقوا بك فى الشارع ويطردوك من عملك !» وعندها سيفتّ فى عضده .. إن الفوضوى ولنقل الحقيقة ، أحرص من غيره على الاحتفاظ بوظيفته .. الفوضويون فى الواقع بورجوازيون صغار ، متمسكون بأسباب رغدهم المتواضع ، مرتب ثابت كل آخر شهر

ومكافأة الشهر الثالث عشر والمعاش عند التقاعد والتأمين الاجتماعى وشيخوخة وادعة . ما من أحد يفكر فى شيخوخته مثل الفوضوى .. وصدقنى حين أقول ذلك .. أنا أتحدث بطبيعة الحال عن فوضويينا نحن .. هؤلاء المرفهين .. إنهم لا يشبهون فى شيء فوضوى الأمس .. أولئك الذين كانوا ينفون من أرض لأرض .. أنت خبير فى موضوع الإبعاد ، يا سيادة المدير . ولكن ما هذا الذى أقول ؟! أنتم – باختصار – تحطمون معنويات الفوضوى وتدخلون اليأس إلى قلبه .. فيقفز ..

القوميسار الرياضى : اسمح لى ، يا سيدى القاضى . بأمانة ، هذا لم يحدث ساعتها .. كذلك فإنى لم أكن قد تدخلت بعد .

المجـــنون :معـك حق .. حدث أولا أنك خرجت ، يا حضرة القوميسار ، ثم عدت بعد وقفة فنية قلت .. ها ، يا حضرة القوميسار ، أسرد ما قلته . تصور أن الفوضوى هو أنا..

القوميسار الرياضى : نعم ، طبعا : «لقد تلقيت منذ لحظة مكالمة تليفونية من روما .. عندى لك خبر سيسرك : صديقك – أعنى «رفيقك» – الراقص اعترف ... قال إنه هو الذى وضع القنبلة فى بنك ميلانو) .

المجـنون : وهو ، عامل السكة الحديد ، كيف تلقى هذا الخبر ؟

القوميسار : تلقاه كما يتلقى المرء خبرا سيئا . امتقع لونه وطلب سيجارة ثم أشعلها ..

المجـــنون : .. ثم قفز ..

المــــدير : لا ، لم يقفز فورا ...

المجـنون : فى الرواية الأولى ، قلت «فورا» . أليس كذلك !

المــــدير :بلى . هو كذلك .

المجـنون : كذلك قلت ، فى تصـريحاتك للراديو والتليفزيون ، إن الفوضـوى كـان ، قـبل فـعلتـه المفـجـعـة ، يشـعـر بالضـيـاع .. وأنه كـان «كالمحاصر» . أليس هذا ما قلت ؟

المــــدير : بلى ، بالضبط . قلت «كالمحاصر» .

المجـنون :وماذا أضفت ؟

المــــدير : أن حجــته التى مؤداها أنه قضى ساعة العصر يوم الانفجارات فى لعب الورق بمــقـهى البـحـارة ، انهـارت ، وأنـهـا لا تقف على قدميها .

المجـنون :أى أن الفوضـوى كانت تحيط به فى تقديرك شبـهات قوية بشـأن الانفجارات التى حدثت فى بنوك ميلانو ، فضلا عن تلك التى حدثت فى القطارات . وقد ختمت كلامك بقولك إن انتحـار الفوضوى كان «عمل اتهام بديهى» .

المــــدير : نعم ، قلت ذلك .

المجـنون : وأنت ، يا حضـرة القوميسار ، صـحت قائلا إن هذا الرجل كان فى حياته وغدا مجرما ! ولكنك ، يا سيدى المدير ، عدت فصرحت بعدها بأسابيع قليلة – وهذا هو المستند الذى ذكرت فيه ذلك – بأن «من الطبـيـعى» ، أكـرر ، «من الطبـيـعى» ، أنه لم تكن هنـاك ضـد عامل السكة الحديد المسكين قرائن ملموسة . هل هذا صحيح ؟ أى

أنه كان بريئا تماما . بل إنك نفسك ، يا حضرة القوميسار ، عقبت قائلا : «هذا الفوضوى كان ولدا خيّرا» .

المـــــدير : نعم . اعترف بذلك . لقد أخطأنا !

المجـنون :لا عليك .. الناس كلهم خطاؤون . ومع ذلك ، إن سمحت لى ، فقد تجاوزت الحد . لقد بدأت بأن ألقيت القبض ، بصورة تعسفية ، على مواطن حر . ثم أسأت استخدام سلطتك فاستبقيته فى الحبس أكثر من المدة القانونية . ثم ألقيت الرعب فى قلب هذا الميكانيكى المسكين حين ادعيت أن لديك الدليل على أنه فجر الديناميت فى عربات السكة الحديدية . وبعد ذلك أوهمته ، بصورة لا تخلو من تعمد ، بأنه سيفصل من عمله ، ثم أهدرت حجته بأنه ، ساعة الانفجارات ، كان يلعب الدور ، وفى النهاية ، وجهت إليه الضربة القاصمة حين قلت إن صديقه وزميله فى روما اعترف بأنه ارتكب مذبحة ميلانو وأن هذا الصديق قاتل ذميم ! وكانت النتيجة أن هتف فى لوعة : «هذه نهاية الفوضوية» ، وأنه ألقى بنفسه من النافذة ! أهذا سلوك رجل رشيد ؟ كيف تتصور أن شخصا أحيط به على هذا النحو لا يصاب بنوبة هلع ؟ هذا شىء .. أنا آسف ، ولكنك فى رأيى مذنب .. طبعا ! أنت مسئول مسئولية كاملة عن موت الفوضوى ويتعين فى الحال توجيه التهمة إليك بالتحريض على الانتحار .

المـــــدير : هذا مستحيل ، يا سيدى القاضى ! مهنتنا – وقد اعترفت بذلك بنفسك – هى استجواب المتهمين . وحملهم على الكلام يقتضينا ،

كشىء لا مفر منه ، أن نلجأ أحيانا إلى الحيلة ونصب الفخاخ ، وإلى ممارسة شىء من العنف النفسى ..

المجنون :لا . أننا هنا لسنا بصدد «شىء من العنف» ، بل بصدد عنف متواصل ! أريد أن أسألك أولا : هل كان لديك دليل قاطع على أن عامل السكة الحديد المسكين كان كاذبا حين ادعى أنه كان يلعب الورق ؟ أجب .

المدير : لا ، لم يكن لدينا دليل قاطع . ولكن ...

المجنون : «لكن» لا تهمنى ! ألم يكن هناك اثنان أو ثلاثة من أصحاب المعاشات يؤيدون أقواله بشأن وجوده فى مكان آخر ؟

القوميسار : بلى .

المجنون : اذن فقد كذبت أيضا فى التليفزيون وأمام الصحافة حين قلت إن حجته تلك انهارت وإن هناك أدلة قوية .. أنتم إذن لا تستخدمون الحيل وتنصبون الفخاخ للإيقاع بالمتهمين فحسب ، بل تستخدمونها أيضا للعبث بحسن نية الشعب الأبلة الذى يصدق ما يقال ! **(المدير يريد أن يقول شيئا)** دعنى أكمل حديثى ، من فضلك . ألم يبلغك أبدا أن إشاعة أنباء كاذبة أو على الأقل مغرضة جنحة خطيرة ؟

المدير : ولكن معاونى أكد لى ...

المجنون : عدنا من جديد إلى إلقاء المسئولية على الغير ؟إذن تكرم ، يا حضرة القوميسار ، بالرد على اسئلتى : الخبر الذى فحواه أن الراقص الفوضوى قد اعترف ، ما مصدره ؟ لقد اطلعت على كل

محاضر الاستجوابات التى أجراها البوليس وقاضى التحقيق فى روما .. (يريها للحاضرين) ولم أجد إطلاقا ما يثبت أن الفوضوى المذكور اعترف ، ولو مرة ، بمسئوليته عن موت من لقوا مصرعهم فى البنوك إذن ؟ هذا الاعتراف ، أنت أيضا الذى لفقته ؟ أجب !

القوميسار : أجل ، نحن لفقناه .

المجنون : يا لخصوبة خيالكم ! لماذا لا تؤلفوا روايات ، أنتما الاثنان ؟ صدقانى ، قد تتاح لكما الفرصة لتأليفها . السجن مكان مناسب جدا للكتابة ،ما لكما ؟ أنتما تحسان بالانقباض ، أليس كذلك ؟ إذن فإننى أضيف بكل صراحة أن روما فيها أشخاص بيدهم ضدكما أدلة دامغة على ارتكابكما أخطاء جسيمة وأنكما ستعاقبان على ذلك العقاب اللازم . وزارة العدل ووزارة الداخلية قررتا فصلكما من الخدمة لتكونا عبرة لغيركما ولكى يعود إلى البوليس الاعتبار الذى فقده .

المدير : لا . هذا شىء لا يصدق !

القوميسار : ولكن ، كيف لهم أن ...

المجنون : طبعا : مستقبلكما الوظيفى ، أنتما الاثنان ، ضاع وتحطم . إنها السياسة أيها الصديقان العزيزان : فى بادىء الأمر كانت لكما قيمة للقيام بدور معين .. كان لابد من ضرب الحركة النقابية ، وخلق جو من «الموت للهدامين» . أما اليوم فقد تحولت الريح قليلا .. موت الفوضوى الذى ألقى به من النافذة أثار سخطا كثيرا لدى الرأى العام .. الرأى العام يطالب برأسين .. وقد قدمتهما له الدولة !

المــــدير : رأسانا ؟

القوميسار : كنت على وشك أن أقول هذا .

المجنون : هناك مثل انجليزى قديم يقول : «السيد يحرش كلابه على الفلاحين . وإذا اشتكى هؤلاء للملك ، قتل السيد الكلب لكى يحصل على العفو» .

المــــدير : أتظن حقا .. أنت واثق ؟

المجنون : ومن أكون أنا ، إن لم أكن قاضيكما ؟

القوميسار : لعنة الله عليها من مهنة !

المــــدير : أنا أعرف الشخص الذى زجّنى فى هذه الوقعة . وسيدفع الثمن !

المجنون : هناك قطعا كثيرون سيغتبطون للعار الذى سيلحقكم وسيضحكون من التشفى ملء أشداقهم !

القوميسار : فعلا . ابتداء من زملائنا . شد ما يغيظنى ذلك !

المــــدير : ناهيك بالصحف !

القوميسار : الله أعلم كيف سيجلدوننا بسياط ألسنتهم ! المجلات المصورة بالذات !

المــــدير : الله أعلم بالخفايا التى ستفضحها هذه الحشرات . ومن قبل كانوا يلعقون أيدينا .. «خذ أيها الباغى!» .

القوميسار : «كان شريرا ، وكان يجد لذة فى تعذيب المتهمين !» .

المجنون : هذا غير الإهانة والسخرية ..

المــــدير : والاستهزاء المرير . الجميع سيديرون ظهورهم لنا . ولن نجد وظيفة حتى كحراس فى موقف سيارات !

القوميسار : سحقا لهذا العالم !

المجنون : بل قل : سحقا لهذه الحكومة !

المــــدير : ما رأيك الآن ؟ ما الذى بيدنا أن نفعله ؟ أشر علينا بشىء !

المجنون : أنا ؟ ما الذى يسعنى أن أقوله لكما ؟

القوميسار : أجل . انصحنا بشىء .

المجنون : أنا لو كنت مكانكما ..

المــــدير : لو كنت فى مكاننا ..

المجنون : لألقيت بنفسى من النافذة !

القوميسار والمدير : ماذا ؟

المجنون : لقد سألتمانى النصيحة .. فى مثل هذه الظروف ، بدلا من تحمل مثل هذا الهوان .. صدقانى .. اقفزا ! هيا . شيئا من التصميم !

المــــدير : ما صلة هذا بذاك ؟

المجنون : ليست هناك أى صلة . إجعلا نوبة الهلع تستبد بكما . اقفزا ! **(يدفعهما هما الاثنين صوب النافذة) .**

القوميسار والمدير : لا ، لا حلمك ، حلمك !

المجنون : حلمى ؟ ما الذى تنتظرانه ؟ أن تبقيا على أرض الشقاء هذه ؟ أهذه عيشة ؟ عالم ابن حرام ! حكومة بنت حرام ! كل شىء ابن حرام ! فلنقفز ! **(يجرهما وهو يهزهما هزا عنيفا) .**

المـــــدير: لا ، يا سيدى القاضى . ما هذا الذى تفعله ؟ أنا لم أفقد الأمل بعد .

المجـنون : ليس هناك من أمل ، لقد ضعتما وانتهى الأمر . أما تفهمان ؟ ضعتما ! اقفزا إلى أسفل !

القوميـسار والمدير: النجدة ! لا تدفعنا .. أرجوك !

المجنون : لست أنا الذى يدفع وإنما نوبة الهلع ، تحيا نوبة الهلع المحررة !

(يمسكهما من خاصرتيهما ويضطرهما إلى الصعود إلى حافة النافذة) .

القوميسار والمدير : لا ، لا ! النجدة ! النجدة ! .

(يدخل الشاويش الذي كان قد خرج في بداية الاستجواب)

الشاويش : ماذا هناك ، يا سيدى ؟

المجنون : **(يفك قبضته عنهما)** لا شئ ، لا شئ ، لم يحدث شئ .. أليس كذلك، يا حضرة القوميسار ؟ أليس كذلك ، يا سيادة المدير؟ هدئا من روع شاويشكما .

المـديـر : **(ينزل ، وهو يرتعد ، من قائم النافذة)** ، أجل .. أجل .. لا تزعج نفسك .. المسألة مجرد ..

المجنون : نوبة هلع !

الشاويش : نوبة هلع ؟

المجنون : كانا يريدان أن يلقيا بنفسهما من النافذة .

الشاويش : هما أيضا ؟

المجنون : أجل ، ولكن لا تقل ذلك للصحفيين ، أرجوك !

الشاويش : لن أفعل ، أبدا .

القوميسار : هذا غير صحيح ، أنت ، يا سيدى القاضى ، الذى أردت ...

المدير : بالضبط !

الشاويش : أردت أن تلقى بنفسكَ ، يا سيدى القاضى ؟

المدير : لا ، هو الذى دفعنا .

المجنون : حقا ، حقا . أنا دفعتهما وكادا يسقطان .. كانا يائسين .
ومتى تملك اليأس إنسانا ، فيكفى أقل شئ ..

الشاويش : أجل ، (أقل شئ) !

المجنون : أنظر إليهما . إنهما لا يزالون يائسين .. أنظر . كأنهما يسيران فى جنازة !

الشاويش : (وقد حمسته مباسطة القاضى) نعم . إنهم يبدون ، ولا مؤاخذة، على رأى المثل ، كمن عنده إسهال !

المدير : ماذا ؟ أجننت ، يا هذا ؟

الشاويش : أطلب المغفرة ، أردت أن أقول .. كمن يجلس فى المرحاض !

المجنون : هيا ، قوما وشدا «السيفون» .. كما يقولون . ابتهجا ، أيها السيدان !

المدير : نبتهج ، نعم . فى الوضع الذى نحن فيه .. أؤكد لك أننى ، فى لحظة من اللحظات ، كنت قاب قوسين أو أدنى من القفز حقا !

الشاويش : أوشكت على إلقاء نفسك ؟ شخصيا ؟

القوميسار : أنا أيضا !

المجنون : أرأيتما ؟ أرأيتما ، أيها السيدان ؟ ، حين تكون المسألة مسألة نوبة هلع ؟ من المذنب ؟

المـديـر : المذنب هم هؤلاء المسئولون أولاد الحرام . هم وحدهم .. هم يبدءون بتحريضنا .. «اقمعوا ، اخلقوا مناخا من النشاط الهدام ، ومن الإخلال الوشيك بالنظام» ....

القوميسار : «لابد من دولة قوية !» . وتنفذ تعليماتهم بكل همة ، ثم ...

المجنون : لا ، إطلاقا . لو أنكما ألقيتما بنفسكما من النافذة ، لكنت أنا وحدى المذنب !

المـديـر : أنت ؟ لماذا ؟

المجنون : لأن ما حدث ليس فيه شئ حقيقى . أنا اخترعت كل شئ !

المـديـر : ما معنى هذا ؟ أليس صحيحا أنهم ، فى روما ، يريدون فصلنا من الخدمة ؟

المجنون : لا ، ليس هناك أى تفكير فى ذلك .

القوميسار : والأدلة الدامغة ؟

المجنون : ليست هناك أدلة .

القوميسار : وقصة الوزير الذى يريد رأسينا ؟

المجنون : قصة مختلقة . الوزير يعبدكما عبادة . أنتما كحدقتى عينيه ، أما قومندان البوليس فإنه مجرد أن يسمع اسمكما يغلب عليه التأثر وينادى : «ماما» !

المـديـر : أنت تمزح !

المجنون : مطلقا ! الحكومة كلها تحبكما ! بل أكثر من هذا ، المثل

الإنجليزى، مثل السيد الذى يقتل كلابه ، مثل زائف . لم يحدث أبدا أن قتل صاحب كلب كلبه استرضاء لفلاح . وإذا كان للحكاية أصل ، فالعكس هو الذى لابد حدث . إذا مات الكلب فى الخناقة أرسل الملك على الفور برقية عزاء وباقات من الزهور لصاحبه عليها أعلام .

(القوميسار يهم بالتحدث . المدير يبدو عليه الغضب والعصبية)

القوميسار : ما لم أكن مخطئا فى فهمى ..

المـديـر : أنت قطعا أخطأت الفهم .. دعنى أتكلم ، يا حضرة القوميسار .

القوميسار : معذرة ، سيدى المدير .

المـديـر : أنا لا أفهم ، يا سيدى القاضى ، لم ألفت هذه المسرحية ..

المجنون : مسرحية ؟ لا ! إنها من الحيل والفخاخ المعتادة التى يلجأ إليها القضاة بدورهم أحيانا كى يثبتوا للبوليس أن مثل هذه الأساليب أساليب همجية ، إن لم نقل إجرامية !

المـديـر : أنت إذن مازلت مقتنعا بأن الفوضوى إذا كان قد ألقى بنفسه من النافذة فلأننا دفعناه ؟

المجنون : أنت فقدت صوابك وأكدت لى ذلك منذ قليل !

القوميسار : ولكننا لم نكن حاضرين فى اللحظة التى قفز فيها .. اسأل الشاويش !

الشاويش : نعم ، يا سيدى القاضى . كانا قد خرجا لتوهما حين قفز !

المجنون : هذا معناه أن الشخص الذى يشعل فتيل القنبلة فى أحد البنوك

ثم ينصرف لا يدان لأنه لم يكن حاضرا لحظة الانفجار . أى منطق هذا ؟

المديـر : لا ، يا سيدى القاضى ، هناك خلط .. الشاويش كان يشير إلى الرواية الأولى ، أما نحن فنتحدث عن الرواية الثانية .

المجنون : آه ، صحيح ، فقد رجعتما عن أقوالكما فى مرحلة ثانية .

المديـر : رجوع بمعنى الكلمة ، لا .. مجرد تصحيح .

المجنون : بالضبط . أنا مصغ إليك . ما الذى صححته ؟

(مدير البوليس يومئ إلى القوميسار)

القوميسار : الواقع أننا ..

المجنون : ليكن فى علمك أننى أحضرت معى المحاضر الخاصة بهذه الرواية الجديدة أيضا . لا تؤاخذنى على مقاطعتك . هات ما عندك ...

القوميسار : لقد صححنا ساعة الـ ... كيف أقول ... الحيلة .

المجنون : ما الذى تعنيه بساعة الحيلة ؟

المديـر : أجل .. صرحنا بأننا نصبنا فخا للفوضوى ، مع ما يقتضيه الأمر من تلفيقات ، لا فى منتصف الليل بل فى حوالى الثامنة مساء .

القوميسار : فى الساعة العشرين ، بعبارة أخرى .

المجنون : كذا ، قدمتم كل شئ أربع ساعات ، بما فى ذلك سقوط الفوضوى محلقا من النافذة . كالتوقيت الصيفى ، مع الإطالة !

القوميسار : السقوط ، لا .. لقد حدث السقوط ، فى الرواية الثانية أيضا ، فى منتصف الليل .. دون تغيير . وكان هناك شهود .

المــديــر : من بينهم الصحفى الذى كان موجودا فى الساحة . أتذكر ؟
(القاضى يقول لا برأسه) الصحفى الذى سمع صوت
الاصطدام بـ «كورنيش» الجدار وبالأرض ، والذى كان أول من
خفوا إلى المكان .. لقد سجل الساعة فى الحال .

المجنون : حسنا .. الانتحار وقع فى منتصف الليل ، والحيلة الكاذبة فى
الساعة العشرين .. كيف نوفق بين ذلك وبين نوبة الهلع ! ما أقوله
هو أن نوبة الهلع هى ، إلى أن يثبت العكس ، التى تستند إليها كل
روايتكم بشأن الانتحار . أنتم جميعا ، ابتداء من قاضى التحقيق
إلى النيابة العامة ، أصررتهم دائما على حقيقة أن هذا المسكين
رمى نفسه من النافذة على أثر نوبة هلع مفاجئة . وهأنتم الآن
تضيعون علىَّ نوبة الهلع وكأنها لم تكن !

المــديــر : أبدا ! نحن لا نضيعها عليك ، على الإطلاق .

المجنون : بلى . أنتم تضيعونها علىَّ . أنتم تضعون ما لا يقل عن أربع
ساعات بين الانتحار واللحظة التى دخلت فيها أنت ، أو أحد
أعوانك ، وألقيت فى وجهه الأضحوكة العظمى . أضحوكة (لدينا
أدلة !) .. إلى أين انتهت نوبة الهلع المفاجئة ؟ بعدها بأربع
ساعات .. لقد كان أمام هذا الفوضوى متسع من الوقت لهضم
أكاذيب أخرى كثيرة . ولو أنكم قلتم له أيضا إن «باكونين» كان
قوادا وأنه كان جاسوسا لحساب البوليس وحساب الفاتيكان لما
اختلف الأمر !

المــديــر : هذا بالذات ما أردناه ، يا سيادة القاضى .

المجنون : أردتم أن تقولوا له إن باكونين كان قوادا ؟

المــديــر : لا ، وإنما أردنا أن نثبت أن نوبة الهلع وما كان يمكن أن تترتب على حيلتنا وتأكيداتنا الكاذبة .. بالذات لأن أربع ساعات قد انقضت بين هذه اللحظة والانتحار .

المجنون : آه ، فهمت ، معك حق ! يا للفكرة الرائعة ، يا للحصافة !

المــديــر : شكرا ، سيدى القاضى .

المجنون : نعم ، وهكذا فإن أحدا لن يستطيع أن يوجه إليك الاتهام . حقيقة كانت هناك هذه الحيلة الكاذبة ، ولكنها لا يمكن أن تعتبر حاسمة !

القوميسار : بالضبط .. وبالتالى فنحن أبرياء .

المجنون : براقو ! المرء لا يفهم حقيقة ما الذى جعل هذا الرجل المسكين يلقى بنفسه من النافذة . ولكن هذا غير مهم . المهم الآن هو أن براءتكما ثابتة .

المــديــر : شكرا مرة أخرى . أقولها لك بصدق : كنت أخشى أن تكون منذ البداية متحاملا علينا .

المجنون : متحامل ؟

القوميسار : نعم ، أن تكون حريصا على إدانتنا بأى ثمن .

المجنون : حاشا لله ! .. بل العكس هو الصحيح . ولئن كنت قد تصرفت بصورة لا تخلو من القسوة والاستفزاز ، فقد كان ذلك لمجرد حملكما على تقديم الأدلة والحجج التى تسمح لى بمساعدتكما بقدر الإمكان على الخروج من هذه المحنة فائزين .

المــديــر : أنا فى شدة التأثر . إنه لمما يثلج الصدر أن يعرف المرء أن القضاء خير صديق للبوليس .

المجنون : أو بالأحرى خير مساعد .

القوميسار والمدير : هو كذلك !

المجنون : ومع ذلك فعليكما أن تعاونانى أنتما أيضا إن أردتما أن أساعدكما حتى النهاية بحيث يكون موقفكما لا مطعنا عليه .

المدير : بالتأكيد .

القوميسار : بكل سرور .

المجنون : يجب أولا أن نثبت بأدلة قاطعة أن الفوضوى ، على مدى أربع ساعات ، قد تغلب على كل شعور بالإحباط ، هذا الانهيار السيكولوجى .. الذى يتحدث عنه قاضى الحفظ .

القوميسار : هناك شهادة هذا الشاويش وشهادتى أنا أيضا ، اللتان أكدنا فيهما أن الفوضوى ، بعد أن أحس بالاحباط أول الأمر ، استرد هدوء نفسه .

المجنون : هل هذا وارد بالمحضر ؟

القوميسار : أعتقد .

المجنون : نعم ، نعم . هو وارد فيه بالفعل . فى الرواية الثانية للوقائع .. هاهى ذى (**يتلو**) : «عامل السكة الحديد استرد هدوءه وقال إن العلاقات بينه وبين الراقص السابق لم تكن على خير ما يرام» . عظيم !

المدير : هذا يعنى أنه لم يعبأ كثيرا حين علم أن الآخر كان هو واضع الديناميت والقاتل .

المجنون : هو لم يكن يقدره بلاشك ، لا باعتباره فوضويا ، ولا باعتباره راقصا .

القوميسار : لعله لم يكن يعتبره حتى فوضويا .

المجنون : فى رأيى أنه كان يحتقره .

القوميسار : لقد بلغ الأمر بهما أن أحدهما قذف الآخر بمّلاحة أثناء مشادة نشبت بينهما .

المــديــر : أوه . القذف بالملاحة يجلب النحس !

المجنون : لا يجب أن ننسى أيضا أن عامل السكة الحديد كان يعرف أن عددا من جواسيس البوليس ومن يثق فيهم البوليس كان يتخلل جماعة الفوضويين فى روما . بل قد قال ذلك للراقص . قال له : «البوليس والفاشيون يستخدمونكم لإثارة القلاقل .. وبينكم كثير من عملائهم مدفوعى الأجر الذين يقدرونكم إلى حيث يشاء ون ، والذى سيلحقه الضرر من ذلك هو اليسار كله ...»

القوميسار : من المحتمل أن هذا هو الذى جعلهما يتشاجران .

المجنون : معقول . وحيث أن الراقص لم يرد أن يستمع إليه فمن الجائز أن عامل السكة الحديد بدأ يشتبه فى أن يكون هو أيضا عميلا للبوليس .

المــديــر : ممكن .

المجنون : وبالتالى فإن الفوضوى ، الذى لم تكن الأدلة القاطعة تعنيه فى شئ ، لم ينفعل .

القوميسار : بل أكثر من هذا ، كان يبتسم .. أتتذكر ؟ أنا نفسى صرحت بهذا منذ الرواية الأولى .

المجنون : نعم .. ولكن هناك ، للأسف ، مشكلة ! أنت ذهبت ، فى الرواية

الأولى ، إلى أن الفوضوى أشعل سيجارة وأنه كان يشعر بالاحباط ، وأنه هتف (بيأس) : «هذه هى نهاية الفوضوية !» . قل الحقيقة : ما الذى جعله يتحدث بهذه اللهجة المؤثرة ؟

المديـر : أنت محق فى سؤالك ، يا سيدى القاضى . هذا الشاب هو الذى خطرت له هذه الفكرة ، مع أنى قلت له : «لندع الميلودراما لرجال السينما ولنؤد عملنا كرجال بوليس» .

المجنون : اسمع كلامى . إن خير ما نفعله ، فى المرحلة التى وصلنا إليها ، لكى نفهم الحكاية ونجد حلا منطقيا ، هو أن نبدأ من جديد .

القوميسار : ندلى برواية ثالثة ؟

المجنون : لا ! يكفى أن نجعل الروايتين الأولى والثانية أكثر اقناعا .

المديـر : هذا كلام فى محله .

المجنون : إذن ، النقطة الأولى ، قاعدة أولى : ما قيل قد قيل ، ولا رجوع فيه، والثابت هو أنك ، يا حضرة القوميسار ، وأنك يا سيادة المدير، أو أن شخص يمثلك ، دبرتما فخّكما الزائف .. وأن الفوضوى دخن سيجارته الأخيرة وقال جملته المؤثرة . وهنا تأتى الرواية المعدلة : هو لم يلق نفسه من النافذة إذ أن منتصف الليل لم يكن قد حان بعد وأن الساعة لم تكن قد جاوزت الثامنة مساء .

المديـر : كما يتضح من الرواية الثانية ..

المجنون : ومن المعروف أن عامل السكة الحديد يحترم التوقيت دائما .

المديـر : أيا كان الأمر ، فقد كان لدينا بهذه الصورة متسع من الوقت كى نغير حالته النفسية فيؤجل تنفيذ مشروع انتحاره إلى وقت لاحق .

القوميسار : هذا كلام لا شائبة فيه .

المجنون : نعم ، ولكن كيف حدث هذا التغير .. الوقت وحده لا يكفى لشفاء بعض الجراح .. يجوز أن أحدا ساعده .. لا أدرى ..

الشاويش : أنا أعطيته مضّاغة لبان .

المجنون : عظيم . وأنت ؟

المديــر : أنا لم أكن هنا ..

المجنون : لا ! فى لحظة دقيقة كهذه ، لابد أنك كنت هنا !

المديــر : حسنا . كنت هنا .

المجنون : نستطيع أن نقول فى البداية إن حالة الذهول التى كان الفوضوى غارقا فيها قد مست وترا من قلبيكما ؟

القوميسار : فعلا . لقد تأثرت بها حقا .

المجنون : ونستطيع أن نضيف أنك أسفت لأنك ، يا سيدى المدير ، كدرته .. أنت الرجل الحساس .

المديــر : نعم . الواقع أنى شعرت بألم .. وقد أسفت ...

المجنون : عظيم ! أراهن أنك لم تستطع أن تمنع نفسك من وضع يدك على كتفه ..

المديــر : لا ، لا أعتقد .

المجنـون : قل الحقيقة . هذه حركة أبوية ..

المــدير : جائز ، ولكنى لا أذكر .

المجنــون : أنا واثق أنك فعلت ذلك . أرجوك .. قل لى نعم .

الشويش : نعم ، نعم . لقد فعلها .. وقد رأيته .

المدير : حسنا ! مادام قد رآني .

المجنون : (إلى القوميسار) أما أنت ، فقد ربتّ على خده ربتة خفيفة ... هكذا (**يربت على خذه**) .

القوميسار : لا . يؤسفنى أن أخيب ظنك ، ولكننى واثق من أننى لم أفعل ذلك .. أنا لم أربت على خده .

المجنون : خيبت ظنى .. أتدرى لماذا ؟ .. لأن هذا الرجل لم يكن فوضويا فحسب ، بل كان من عمال السكة الحديد ! أنسّيت ذلك ؟ أتدرى ماذا يعنى أن يكون المرء عاملا فى السكة الحديد ؟ إنه يعنى شيئا يرتبط لدينا جميعا بطفولتنا ... القطارات الصغيرة الكهربائية أو الميكانيكية ! ألم يكنْ لديك أبداً قطار صغير وأنت طفل ؟

القوميسار : بلى . كان عندى قطار يسير بالبخار وكان يصعد منه الدخان .. قطار مصفح ، بطبيعة الحال .

المجنون : وكان يصفر توت .. توت ..

القوميسار : نعم .. تِوت .. توت ..

المجنون : رائع ! قلت توت توت .. ولمعت عيناك !! لا ياعزيزى ، يستحيل ألا تكون قد شعرت بالعطف على هذا الرجل .. لأنه كان ، فى عقلك الباطن ، مقترنا بقطارك الصغير .. لو أن المتهم كان رجل بنوك مثلا ، لما وجهت إليه حتى نظره . ولكنه كان من عمال السكة الحديد ، وأنت .. أنا واثق ومتأكد .. أنت ربت على خده هذه الربتة ..

الشاويش : نعم . هذا صحيح .. لقد رأيته . ربت على خده مرتين .

المجنون : أرأيت ؟ عندى شهود ! ما الذى قلته له وأنت تربت على خده ؟

القوميسار : لا أذكر .

المجنون : سأخبرك أنا بما قلت . قلت له «هيا ، هيا .. لا تغتم هكذا (**وخاطبته باسمه الأول**) ، الفوضوية لن تموت ! »

القوميسار : لا أعتقد أننى ..

المجنون : سبحان الله ! بل قلت ذلك .. وإلا فسأغضب . انظر .. عرق رقبتى .. أتعترف أم لا بأنك قلت ذلك ؟

القوميسار : حسنا ، إذا كان هذا يرضيك .

المجنون : قلها إذن . يجب أن أسجلها فى المحضر (**يشرع فى الكتابة**) .

القوميسار : فليكن . قلت .. «هيا .. هيا .. يابنى . لا تغتم .. سترى .. الفوضية لن تموت !» .

المجنون : حسنا .. ثم أنشدتم !

المدير : أنشدنا ؟

المجنون : طبعا . بعد أن وصلتم إلى هذه المرحلة .. نشأ جو من المودة أو الزمالة .. لا يملك المرء معه إلا أن ينشد مع الآخرين فى «كورس» ! قل لى ، ماذا أنشدتم ؟ «وطننا هو العالم أجمع» ، فيما أفترض ...

المدير : لا تؤاخذنى ، سيدى القاضى ، ولكننا ، فيما يتعلق بالنشيد الجماعى ، لا نستطيع أن نوافقك .

المجنون : لا توافقانى ؟ أتعرفان ما سأقوله لكما فى هذه الحالة ؟ سأتخلى عنكما . دبرا أمركما .. هذا شأنكما . سأعرض الوقائع كما

عرضتماها علىّ .. أتعرفان ما الذى سيترتب على ذلك ؟ لا تؤاخذنى على حدة كلامى : ستترتب عليه طامة كبرى . نعم . تماما ! أنتما تقولان شيئا فى البداية ثم تعدلان عنه . ترويان رواية ، ثم بعد نصف ساعة ، ترويان غيرها والرواية الثانية تناقض الأولى تماماً. بل أنكما تختلفان فيما بينكما . هناك شاويش يقول دون مواربة أن الفوضوى سبق له أن شرع فى الانتحار فى نفس اليوم ، قبل الغروب ، بحضوركما . ولكن هذا ، فى نظركما ، تفصيل تافه لم تشيرا إليه مجرد إشارة . أنتما تدليان بتصريحات للصحافة كلها ، بل ما لم أكن مخطئا – للتليفزيون ، فى نشرة الأخبار ، وتقولان ما معناه باختصار أنه ليس هناك «بطبيعة الحال» محضر للاستجوابات التى أجريت مع الفوضوى ، لأن الوقت لم يتسع لإعداده .. وبعد قليل ، ياللمعجزة يتضح أن هناك محضرين أو ثلاثة محاضر ، لا أقل ، وأن الفوضوى ذيلها بتوقيعه ، بيده ، وهو على قيد الحياة ! لو أن متهما تضاربت أقواله ، ولو نصف تضارب أقوالكما ، لكان أقل ما تفعلانه معه هو أن تقتلاه ! أتعرفان رأى الناس فيكما الآن ؟ هم يعتبرونكما وغدين كبيرين ، بل دجالين . أتظنان بعد هذا أن أحدا يصدق ما تقولان ، باستثناء قاضى الحفظ ، بطبيعة الحال ؟ أتدريان السبب الأساسى الذى من أجله لم يعد هناك من يصدقكما ؟ هذا السبب هو أن ما أوليتم به من أقوال عن الوقائع ، بالإضافة إلى أنه يجافى العقل ، خال من الإنسانية .. من الدفء الإنسانى .. إن أحدا لم ينس الإجابة الفظة البذيئة التى أجبت بها، ياحضرة القوميسار ، أرملة الفوضوى المسكينة حين سألتك لِمَ لَمْ

تخطروها بموت زوجها . ما من لحظة انفعال . إن أحدا منكم لم يتــرك نفسه على سجيتها ولم يرخ لعواطفه العنان .. فيضحك مثلا ، أو يبكى ، أو يغنى ! كان من الممكن أن يغتفر الناس كل التناقضات التى وقعتما فيها ، فى كل خطوة ، لو أمكن ، مقابل ذلك ، أن يرى الانسان خلف تضارب أقوالكما قلبا ينبض ..» . رجلين من البشر تخنقهما العبرة وينشدان مع الفوضوى ، رغم كونهما من رجال البوليس ، نشيدا من أناشيده .. لمجرد إدخال السرور على قلبه .. «وطننا هو العالم أجمع» .. لو أن هذا حدث لانفجر الناس فى البكاء ولهتفوا باسميكما وهم يسمعون قصة فى مثل هذه الروعة . أرجوكما ، لمصلحتكما ... لكى يكون التحقيق فى صالحكما ، أن تنشدا !

(يبدأ فى الإنشاد بصوت خافت ، ويدعو رجال البوليس إلى مصاحبته . ينضمون إليه فى الانشاد ، الواحد بعد الآخر وهم فى غاية الارتباك) .

ونحن نجوب البحار والأقطار .

من أجل فكرة نترك أعزاء نا ... هيا ارفعوا أصواتكم ! **(يمسكهم من اكتافهم ليحمسهم) .**

وطننا هو العالم كله .. أرفعوا أصواتكم بحق السماء !

قانوننا هو الحرية

وفكرة ، وفكرة ..

وطننا هو العالم أجمع .

(ينزل الظلام ببطء على «الكورس» وهم يغنون ملء الحناجر) .

الوقت الثانى

(قبل أن يعود النور من جديد ، يستأنف الرجال الأربعة الإنشاد بالصورة التى كانوا ينشدون بها فى نهاية الفترة الأولى ، وينتهى غناؤهم على نغمة حادة مع الضوء الذى يتزايد حتى يضاء المسرح إضاءة كاملة) .

المجنون :**(يصفق ويعانق ويصافح الأيدى)** براڤو ، براڤو ! هذا أحسن . ليس هناك الآن من يستطيع أن يشكك فى هدوء بال الفوضوى .

القوميسار : أنا أجازف وأقول إنه كان راضيا .

المجنون : طبعاً . كان يشعر وكأنه فى بيته .. أو بين جماعة من جماعات الفوضويين فى روما التى فيها من رجال البوليس المتنكرين أكثر ممن فيها من الفوضويين الحقيقيين .

المدير : نيران اتهاماتنا الملفقة لم تؤثر أقل تأثير على معنوياته .

المجنون : أى أنه لم تكن هناك ساعتها نوبة هلع . نوبة الهلع تأتى بعد ذلك **(يومىء إلى القوميسار)** متى ؟

القوميسار : حوالى منتصف الليل .

المجنون : ماذا كان سببها ؟

المـــــدير : أعتقد أن السبب ..

المجنــون : لا ، بحق السماء ! أنت لا تعتقد شيئاً .. المفروض أنك لا تعلم شيئا . ياسيدى المدير !

المدير : المفروض أنى لا أعلم شيئاً ؟

المجنون : يا سيدى الفاضل ، نحن هنا نفعل المستحيل لنبرىء ساحتك ، ولنثبت أنه لم يكن لك دخل فى موت رجل السكة الحديد .. لأنك لم تكن حاضرا ..

المدير : معك حق . لا تؤاخذنى .. كنت سارحا .

المجنون : أنت كثير السرحان ، ياعزيزى .. أفق ، أفق ... إذن ، كما يقول الممثل «توتو» فى كوميديا قديمة : «مدير البوليس ، فى هذه الساعة ، لم يكن فى إدارة البوليس» . أما القوميسار ، فكان فيها .

القوميسار : أجل ، كنت فيها ، ولكننى خرجت بعدها بقليل ...

المجنون : هذه محاولة أخرى للتخلص من المسئولية . كن لطيفا وحدثنى عما حدث عند منتصف الليل .

القوميسار : كنا ستة فى هذه الغرفة : أربعة من رجال البوليس وأنا وملازم من الجندرمة .

المجنون : الملازم الذى رقى بعدها إلى رتبة الكابتن ؟

القوميسار : بالضبط .

المجنون : وماذا كنتم تفعلون ؟

القوميسار : كنا نستجوب الفوضوى .

المجنون : من جديد ؟ «أين كنت .. ماذا كنت تفعل .. تكلم .. لا تستهبل» ؟
بعد كل هذه الساعات يخيل لى أنكم جميعا كنتم تشعرون بشىء من التأذى والعصبية والغيظ .

القوميسار : أبدا ، يا سيدى القاضى . كنا فى غاية الهدوء .

المجنون : لم تعامـلوه بشـىء من الغلظة لتأديبه ؟ ولا حتى بصفعه بظاهر اليد ؟

القوميسار : لا .

المجنون : بباطن اليد ؟

القوميسار : ولا هذا .

المجنون : بسن اليد ؟

القوميسار : سن اليد ؟

المجنون : أجل . كالمساج الذى يجرى للسيدات البدينات لإزالة الشحم ! ..
(يقلد حـركات المساج السريع بسيف يده) «آه ! ما أفيد هذا المساج ، يا عزيزتى !» .

القوميسار : لا . لا ، يا سيدى القاضى . ولا حتى المساج . كنا نستجوبه ونحن نمزح .

المجنون : حقا ؟ وأنتم تمزحون ؟

القوميسار : أؤكد لك .. إسأل الشاويش .. **(يدفع الشاويش نحو القاضى)** .

المجنون : لا داع . هذا شىء لا يصدق ، **(يريه ورقة)** ولكنه ثابت أيضا فى الأقوال التى أدلى بها أمام قاضى الحفظ .

القوميسار : طبعا . هو لم يشكك فيه اطلاقا .

المجنون : أنا أيضا على استعداد لتصديق ذلك .. ما معنى «ونحن نمزح» ؟

القوميسار : معناه أننا كنا نمزح .. كنا نستجوبه ونحاول التندر .

المجنون : لست فاهما . كنتم تلعبون لعبة «صفعة الجندى» ؟ هل كنتم تضعون على وجوهكم قناعات نصفية ؟ هل كنتم تنفخون فى زمّارات ؟

القوميسار : لا ، ليس إلى هذه الدرجة . ولكننا كنا نحمل الأمر على محمل الفكاهة كنا نعوج وجوهنا ونتلاعب بالألفاظ ونطلق النكات .

الشاويش : أجل . أجل . كنا نضحك ونغرق فى الضحك . الحقيقة أن حضرة القوميسار ، خلافا لما قد يبدو ، يحب التهريج ، استجواباته . حين يكون رائق المزاج ، شىء فى منتهى الظرف . ها ، ها . ها . كم أضحكنا !

المجنون : الآن فهمت لماذا قرروا فى روما تغيير شعاركم .

المدير : شعار البوليس ؟

المجنون : نعم ، شعاركم . الوزارة قررت ذلك .

المدير . سيغيرونه ؟

المجنون : بالأحرى سيستكملونه . ما شعاركم الحالى ؟

المدير : «البوليس فى خدمة المواطن» .

المجنون : تماما . الشعار ، من الآن فصاعدا ، سيكون : «البوليس فى خدمة المواطن .. للترفيه عنه !» .

المدير : أنت تستهزىء بنا ..

المجنون : إطلاقا . أنا مقتنع تماما بأنكم تعاملون المتهمين بالمزاح ، كما تؤكدون .. أذكر أننى كنت فى «برجام» - كان الواجب أن أقول فى سان فرانسسكو ، ولكن هذه إحدى فلتات تغيير المكان - كنت فى «برجام» الايطالية أثناء الاستجوابات التى أجريت مع العصابة التى كانت تسمى بعصابة يوم الأثنين إن كنتم تذكرون . كان بين المتهمين قسيس وطبيب وصيدلانى .. بلدة بأكملها تقريبا كانت موضع اتهام ، ثم اتضح بعدها أنهم كانوا أبرياء .. الذى حدث أننى كنت أقطن فى فندق صغير بالقرب من مركز البوليس الذى كان يدور فيه استجواب المتهمين . كنت أصحو من نومى كل ليلة تقريبا على صراخ وأصوات أنات وكنت فى البداية أتصور أن الصراخ والأنات كانت تصدر عن أشخاص يضربون ضربا مبرحا ، ولكننى فهمت بعدها أنها كانت ضحكات !! نعم .. قهقهات فجة صادرة من المتهمين الذين كانوا تحت الاستجواب : آه .. آوه .. أماه ! كفى ، آه ، آه ! النجدة ! ما عدت أحتمل !

كفى ياحضرة القوميسار ، أكاد أموت من الضحك !» .

المدير : لو تركنا السخرية جانبا ، أتدرى أن رجال البوليس المذكورين ، من القومندان إلى أصغر شاويش ، قد حكم عليهم جميعا بعقوبات ؟

المجنون : بالتأكيد ، لفرط خفة روحهم . (**رجال البوليس تنقلب سحنتهم**) لا ، لا ، أنا لا أمزح ، لا . أنتم ليست لديكم حتى الآن فكرة عن عدد الأشخاص الذين لم يقترفوا جرماً ، والذين

يختـرعـون الأكـاذيب لغـرض واحـد هـو أن يقـتـادوا إلـى مـركـز البوليس . أنتم تعتقدون أنهم فوضويون وشيوعيون ومن أنصار «قوة العمال» أو نقابيون .. أبدا ! هم ليسوا إلا مرضى مساكين . نفر من الناس ركبهم الهم وأصيبوا بوسواس المرض فتنكروا فى هيئة الثوريين لا لشىء إلا لتستجوبهم .. كى تتاح لهم ، أخيرا ، الفرصة ليضحكوا ضحكات صحية تشرح الصدر وتفرج الكرب .

المدير : يبدو لى ، يا سيدى القاضى ، أنك الآن لا تسـخـر منا فـقط ، بل تستخف بعقلنا !

المجنون : العفو ! ما كنت لأسمح لنفسى بهذا .

القوميسار : ومع ذلك ، أقسم لك أننا كنا نمزح مع الفوضوى ذلك المساء .

الشاويش : نعم ، نعم ،كانوا يمزحون . أنا أيضا أقسم على ذلك !

المجنون : اسكت ، أنت ، رؤساؤك وحدهم هم الذين لهم أن يقسموا .

(**مدير البوليس ينحى الشاويش بغلظة**) ليكن . لنسلم بذلك من .. أو ماذا ، كان موضوع المزاح ؟

القوميسار : الفوضوى الراقص ، فى المقام الأول .

المجنون : آه . لأنه كان يعرج .. الفوضوى الراقص الأعرج .. ها ، ها !

القوميسار : أجل ، هذا أيضا كان موضوع مزاح .

المجنون : لابد أنكم مزحتم أيضا لأنه ، مع كونه راقصا ، كان يتكسب من نظم حبات ملونة من الخرز ليصنع منها« أباچورات الحرية» ... مع التلميح – ربما – بأنه قد يكون ، هو الآخر ، فى أخلاقه ، من أنصار مذهب الحرية !

الشاويش : ها ، ها ! الفوضوى – الحرية !

المدير : صه !

القوميسار : لا ، نحن فى الحقيقة لم نذهب فى مهاجمته إلى هذا الحد .

المجنون : قل الحق . لا تكن متواضعا أكثر من اللازم . على أى حال ، الشيء المحتمل هو أن سخريتكم كانت ثقيلة إلى حد ما بشأن صديقه الرافض وأنه ، أى عامل السكة الحديد ، قد استاء منها كثيراً . أليس كذلك ؟

القوميسار : أتصور أن هذا حدث بالفعل .

المجنون : وأنه قفز واقفا !

القوميسار : أجل . قفز واقفا !

المجنون : وأخذ يصيح : كفى ! أنا لا أسمح بمثل هذه التلميحات . صديقى راقص ، نعم ، وهو ينظم الخرز ، وهو يعرج ، نعم .. ولكنه رجل ، بحق السماء ! وبعد أن قال هذا قفز إلى حافة النافذة ، وخطا خطوة ، ثم خطوة ثانية ، ثم رمى نفسه!

القوميسار : نعم . هـــذا تقريبا ما لابد أنه حصل .. ولكننى لا أقسم على ذلك . وقد قلت لك إننى كنت قد خرجت لتوى .

الشاويش : ولكننى أنا كنت موجودا . وإذا أردت ، فإنى مستعد لأقسم على ذلك .

المجنون : لا ، إسكت أنت !

المدير : يالفرط الحساسية . هذا الفوضوى يلقى بنفسه من النافذة لمجرد أن البعض سخروا من صديقه .

المجنون : ذلك لأنهم مسوا عنده وترا حساسا . الفوضويون حريصون جدا على رجولتهم . أكثر من غيرهم . ألم تقرأ كتاب «الجنس والفوضوية» لأوتو فاييننجر ؟ لا ؟ هو مرجع كلاسيكى .

المدير : ومع ذلك فمن الغريب أن يكون حساسا بهذه الدرجة بشأن صديق كانت علاقته به سيئة ... هذا بالنص هو ما قرره ، إن كنت تذكر . بل لقد قذف رأسه بملاحة !

المجنون : صحيح ! شكرا لك لأنك ذكرتنى بذلك – إذن من غير المحتمل أن يكون قد استاء أو تضايق .

المديــر : فعلا !

المجنون : يالها من ماكيافيلية .. كان إذن يتظاهر !

القوميسار : يتظاهر ؟

المجنون : طبعا : المخادع ! مثّل دور الشخص الذى استاء استياء قاتلا لكى تكون لديه ذريعة منطقية للإنتحار .. منطقية فى نظركم وإن تكن مضحكة فى نظر الآخرين .

المـديــر : ماذا تعنى بقولك «فى نظر الآخرين» ؟

المجنــون : لم تفهم إذن ؟ لقد لعب دور الفدائى لكى يقضى على مستقبلكم . هو قفز وأنتم نقلتم الوقائع بسذاجة ، كما حدثت ، للصحافة والتليفزيون .. إن أحدا لايصدقكم فيما عدا – بطبيعة الحال – مستشار الحفظ المحبوب .. الذى أعرفكم أنه كتب فى تقريره ، ضمن ما كتب : «إن نوبة الهلع أصابت الفوضوى نتيجة «لجرح كبرياء» ! من الذى يبلع مثل هذا الكلام ؟ إنها لعبة مكشوفة .

المـديــر : أكيد ، أكيد . إنها أشبه بنكتة .

المجنـــون : وهكذا تكونون قد ذهبتم فى داهية نتيجة لصراحتكم . أما الفوضوى الخبيث فإنه هناك فى قبره يضحك ساخرا .

الشاويش : الوغد ! مع أنه كان يوحى بالثقة ويبدو عليه أنه رجل طيب !

المـديـــر : اسكت ، أنت ! **(الشاويش يصمت وينكمش فى نفسه كالقوقع فى محارته)** . لا تغضب منى ، يا سيدى القاضى ، ولكننى لست مـقـتنعـا بروايتك هذه بشـأن رجل السكة الحـديد الفدائى .

القوميسار : أنا أيضا لدي عليها بعض التحفظات ..

المجنـــون : أما أنا ، فإنى لست مقتنعا بها البتة . وهى غير مقبولة حتى إذا وردت فى فيلم بوليسى بالتليفزيون . ولكننى كنت أحاول أن أنقذ روايتكما ، التى هى أوهى منها .

المـديـــر : **(يفرك كتفيه)** ، لو سـمـحت ، هل يضـايقك أن أطلب قفل النافذة ؟ درجة الحرارة انخفضت بشكل مفاجئ .

المجنـــون : العفو ، العفو .. طبعا ، الدنيا برد .. حقيقة !

القوميسار : ذلك أن الشمس قد غابت منذ لحظة .

(الشاويش ، بإشارة من القوميسار ، يذهب إلى النافذة ويقفلها)

المجنـــون : معنى هذا أن الشمس لم تغب فى ذلك المساء .

القوميسار : ماذا ؟

المجنـــون : كنت اتسـاءل عـمـا إذا كـانت الشـمس فى الليلة التى ألقى الفوضوى بنفسه فيها من النافذة قد ظلت فى السماء فلم يحدث مغيب .

(رجال البوليس الثلاثة ينظر بعضهم إلى بعض فى اضطراب)

المديــر : لست فاهما .

(المجنون يتظاهر بضيق الصدر)

المجنــون : أقول ، إذا كانت النافذة ظلت مفتوحة فى منتصف الليل ، فى شهر ديسمبر ، فمعنى هذا أن الجو وقتها لم يكن باردا .. وإذا لم يكن الجو باردا ، فذلك ببساطة لأن الشمس لم تكن قد غابت بعد .. لابد أنها كانت ستغيب فى وقت لاحق ، فى الواحدة صباحا ، كما يحدث فى النرويج فى شهر يولية .

المديــر : لا ، لقد فتحوا النافذة قبلها بلحظات .. لتجديد جو الغرفة ، أليس كذلك ؟

القوميسار : بلى ، فقد كان هناك دخان كثير .

الشاويش : الفوضوى كان يفرط فى التدخين .

المجنــون : فتحتم زجاج النافذة ، والمصراعين أيضا ؟

القوميسار : نعم ، والمصراعين أيضا .

المجنــون : فى شهر ديسمبر ؟ فى منتصف الليل ، والترمومتر دون درجة الصفر ، والضباب يجمد المرء .. ؟ ، «أخرج ، أيها الهواء ، أخرج ! الالتهاب الرئوى لا يهمنا» ! هل كنتم ، على الأقل ، ترتدون معاطف ؟

القوميسار : لا ، بل كنا نرتدى «جاكتات» .

المجنــون : يا لكم من رياضيين ! ..

القوميسار : ولكن الجو لم يكن باردا ، أؤكد لك !

المـديـر : لا ، لم يكن باردا ...

المجنـون : حقا ؟ النشرة الجوية فى ذلك المساء كانت تشير ، بالنسبة لإيطاليا كلها ، إلى درجات من البرودة تجعل الدب القطبى الأبيض يرتعش، وأنتم لم تكونوا تشعرون بالبرد ، بل كان الطقس ، بالنسبة لكم ، ربيعيا ! .. أى شئ كان مسخرا لكم ؟ ريح موسمية أفريقية لاستخدامكم الخاص ، تهب كل ليلة هنا ؟ أم هو «تيار الخليج» الذى يصعد ويمر تحت البيوت عن طريق المزاريب ؟

القوميسار : لا تؤاخذنى ، يا سيدى القاضى ، أنا لا أفهمك . منذ قليل قلت إنك جئت إلى هنا خصيصا لمساعدتنا ، وهأنت تتشكك فى كل أقوالنا وتسخر منا وتهيننا ..

المجنـون : معك حق . ربما كنت أبالغ . ربما كنت أكثر من التشكك ، ولكننى أجد نفسى أمام واحد من هذه الرسوم الغبية التى يجدها المرء فى بعض المجلات والتى يطلب فيها من القارئ أن يبحث عن الأخطاء السبعة والثلاثين . كيف لى أن أساعدكم ؟ **(رجال البوليس يجلسون فى صمت ووجوم)** . حسن . حسن . لا تبتئسوا .. الدنيا بخير . أعدكم ، ابتداء من الآن ، ألا أسخر من شئ ، وأن يكون حديثى غاية فى الجدية . لنترك ما مضى ..

المـديـر : أجل ، لنتركه ...

المجنـون : ولنعد إلى الواقعة الحقيقية ، واقعة القفز من النافذة .

القوميسار : موافقون .

المجنـون : الفوضوى ، تحت تأثير نوبة الهلع - وسنحاول فيما بعد أن نبحث معا عن سبب أكثر معقولية لهذه الفعلة الجنونية - قفز واقفا واندفع . على فكرة ، من كان سلمه الصغير ؟

القوميسار : أى سلم صغير ؟

المجنــون : أجل .. أيكم اتخذ مكانا إلى جانب النافذة وشبك أصابعه ، على مستوى البطن ، هكذا ، لكى يسمح له برفع قدمه و... هرب ! ليقفز عبر الحاجز ، محلقا فى الهواء ؟

القوميسار : ماذا تقول ، يا سيدى القاضى ؟ أتعنى أننا ...

المجنــون : لا ، لا سمح الله . لا تنفعل .. أنا سألت فقط ... ظننت ، نظرا لأن الأمر يحتاج إلى قفزة عالية ، دون أن تكون هناك دفعة قوية ودون معونة خارجية ، لا أود أن يشك أحد ...

القوميسار : ليس هناك ما يدعو إلى الشك ، سيدى القاضى ، أؤكد لك .. لقد فعل فعلته كلها بمفرده !

المجنــون : لم تكن هناك حتى زانة أو عصا طويلة كما فى مسابقات القفز العالى ؟

القوميسار : لا .....

المجنــون : لعل متسابق القفز كان يرتدى حذاء ذا كعب من المطاط ...

القوميسار : لم يكن لحذائه أى كعب ..

المجنــون : حسنا . أمامنا إذن ، من جهة ، رجل لا يزيد طوله على متر و٦٠ سنتيمترا ، بمفرده ودون معونة ودون سلم .. ومن جهة أخرى ، ستة من رجال البوليس على بعد أمتار قليلة ، بل إن أحدهم كان قريبا من النافذة ، لم يتح لهم الوقت للتدخل .

القوميسار : لقد حدث كل شئ بشكل مفاجئ .

الشاويش : لا تتصور ، سيادتكم ، خفة حركة هذا الجنى ... كل ما سمح لى الوقت أن أفعله هو أن أمسكه من قدمه .

المجنــون : كذا ! أرأيتم كيف نجحت طريقتى فى الإثارة .. تقول إنك أمسكته من قدمه ؟

الشاويش : أجل ، ولكن إحدى فردتى حذائه بقيت فى يدى ، وسقط هو إلى تحت .

المجنــون : لا يهم . المهم هو أن فردة الحذاء بقيت . فردة الحذاء هى الدليل القاطع على أنكم أردتم إنقاذه !

القوميسار : دليل قاطع !

المــديــر : (**للشاويش**) برافو !

الشاويش : شكرا ، سيدى المدير .

المــديــر : اسكت !

المجنــون : لحظة ! .. هناك شئ ، لا يستقيم (**يبرز ورقة لرجال البوليس**) هل كان حذاء المنتحر يتكون من ثلاث فردات ؟

المــديــر : ثلاث فردات ؟

المجنــون : نعم ! إحداها بقيت فى يد الشرطى .. لقد شهد بذلك بنفسه بعد أيام من الحادث .. (**يريهم الورقة**) انظروا !

القوميسار : صحيح .. ذكر ذلك لمحرر صحيفة «كورييرى ديللاسيرا» .

المجنــون : ولكن هنا ، بين المرفقات ، شهادات مؤداها أن الفوضوى المحتضر على رصيف الساحة كان لا يزال يرتدى حذاء فى كلتا قدميه . هذا ما شهد به كل من خفوا إلى مكان الحادث ومنهم صحفيو جريدة «لونيتا» وصحفيون غيرهم ، عابرون .

القوميسار : لست فاهما كيف حدث ..

المجنــون : ولا أنا . إلا إذا كان هذا الشاويش السريع قد اتيح له الوقت

لنزول السلم على عـجل وبلوغ «بسطة» الطابق الثـانى ، وفـتح النافذة قبل مرور المنتحر ، وإلباسه فردة الحذاء وهو فى الهواء ، ثم الصعود كالصاروخ إلى الطابق الرابع فى اللحظة التى اصطدم الفوضوى فيها بالأرض .

المـديـر : هأنت تسخر من جديد .

المجنـون : أنت محق . هى نزعة لا أستطيع مقاومتها ، لا تؤاخذنى . إذن ثلاث فردات حذاء .. معذرة : هل تذكر ما إذا كان له بالمصادفة ثلاث أقدام ؟

المـديـر : من ؟

المجنـون : رجل السكة الحديد المنتحر . لو أنه كان بالمصادفة من ذوى الأقدام الثلاثة لكان من المنطقى أن يرتدى حذاء من ثلاث فردات .

المـديـر : (بغيظ) لا . لم تكن له ثلاث أقدام !

المجنـون : لا تغضب ، أرجوك . المرء ينتظر أى شئ من جانب الفوضويين .

الشاويش : هذا صحيح !

المـديـر : اسكت .

القوميسار : هذه مصيبة ! .. يجب العثور على تفسير معقول ، وإلا ...

المجنـون : أنا عثرت على تفسير .

المـديـر : قله لنا .

المجنـون : لابد أن إحدى فردتى الحذاء كانت واسعة ، وعند ذلك ، ونظرا إلى أنه لم تكن هناك «فَرْشة» فى متناول يده ، فقد لبس فردة أخرى أضيق ، قبل أن يلبس الفردة الواسعة .

القوميسار : فردتان فى نفس القدم ؟

المجنــون : أجل . ليس فى ذلك ما يدعو إلى الدهشة . هذا ما يفعله الناس بالحذاء الواقى ، أتذكر ؟ هذه الأحذية المطاطة التى كان الناس يلبسونها قديما .

المـــديـــر : قديما ، نعم .

المجنــون : هناك من يلبسها حتى اليوم . من الجائز أن فردة الحذاء التى بقيت فى يد الشاويش لم تكن فردة حذاء حقيقية ، وإنما حذاء واق.

القوميسار : مستحيل . فوضوى يلبس حذاء واقيا فوق حذائه ؟ الحذاء الواقى كان الناس يلبسونه أيام زمان . الناس المحافظون .

المجنــون : الفوضويون قوم محافظون للغاية ...

المـــديـــر : وهم لهذا السبب يقتلون الملوك !

المجنــون : طبعا ، لكى يتمكنوا من تحنيطهم . إذا كان يتعين الانتظار حتى يموت الملوك وقد تقدمت بهم السن وتجعد جلدهم وانتهبهم المرض وتهرأوا وتحللوا ، فلن يتيسر تحنيطهم وحفظهم . أما بهذه الطريقة ، حين يكونون قد قتلوا منذ وقت قصير ...

القوميسار : أرجوك ، يا سيدى القاضى ، هناك موضوعات لا أحب بشأنها أن ....

المـــديـــر : أنا أيضا لا أقبل ..

المجنــون : كنت أحسب أنكما تحنان إلى الماضى ، ولكن لا إلى عهد الملكية . على العموم ، إذا لم يرق لكم تفسير الحذاء الواقى ، ولا احتمال وجود ثلاث فردات حذاء ...

(التليفون يرن . الكل يتوقفون عن الحركة . القوميسار يأخذ السماعة)

القوميسار : لا تؤاخذونى .. أجل ، ما الخبر ؟ لحظة .. (إلى المدير) إنه الساعى ، هو يقول إن لدى الباب ، فى الطابق الأرضى ، صحفية تطلبك ، يا سيادة المدير ..

المدير : أجل . لقد ضربت لها موعدا اليوم ... هى صحفية فى مجلة «إكسبرسو» أو مجلة «لوروبيو» .. لا أذكر . اسأل إذا كان اسمها «فيللتى» .

القوميسار : (فى التليفون) اسمها فيللتى ؟ (للمدير) نعم . ماريا فيللتى .

المدير : إنها هى .. كانت تريد منى حديثا صحفيا . إرجها أن تمر فى يوم آخر . قل لها إن وقتى الآن لا يسمح بمقابلتها .

المجنون : أبدا ... أنا لا أقبل أن تدخل فى مشكلات بسببى .

المدير : ماذا تعنى ؟

المجنون : إنى أعرفها ، هذه الصحفية .. هى ذات نفوذ .. وقد تستاء ، وإذا استاءت فمن يعلم أى مقالة ستدبجها ضدك ! استقبلها ، أرجوك !

المدير : وتحقيقك ؟

المجنون : يمكن أن ينتظر . ألم تدرك بعد أنى وإياكم فى سفينة واحدة ؟ من هم على شاكلتها ، من المستحسن أن يجعلهم المرء فى صفه لا ضده . اسمع كلامى !

المدير : حسنا . (إلى القوميسار الذى يمسك بسماعة التليفون) قل لها أن تتفضل

القوميسار : إصعد بها إلى مكتبى (يعيد السماعة إلى مكانها)

المـديـــر : وأنت ، ما الذى ستفعله ؟ ستتركنا ؟

المجنــون : أبدا .. أنا لا أتخلى عن أصدقائى ، لا سيما ساعة الخطر !

القوميسار والمدير : ستبقى ؟

المـديـــر : بأى صفة ؟ أتريد أن تكتشف هذه الصحفية التى هى من جبلة الصـقـور هويتك والمهمة التى جئت منْ أجلها إلى هنا ، كى تملأ صحيفتها حديثا عن هذا الموضوع ؟ قل إذن إنك تريد أن توقعنا فى شر أعمالنا .

المجنــون : لا . أنا لا أريد لكم الأذى ، اطمـئن . الصحفية – الصقـر لن تعرف أبدا هويتى الحقيقية .

القوميسار : أتظن ذلك ؟

المجنــون : طبعا . سأغير شخصيتى . هذا ، بالنسبة لى ، لعبة أطفال ، صدقنى . طبيب نفسانى فى البوليس الجنائى ، مدير «الانتربول» ، رئيس مختبرات البوليس العلمية ، أيها تختار ... إذا أحرجكم الصقر بسؤال خبيث فما عليكم إلا أن تغمزوا لى بالعين ، وعندها سأتدخل .. المهم هو ألا تثيروا أنتم حولكم الشكوك .

المـــديـر : أنت زائد الكرم ، يا سيدى القاضى ..**(يشد على يده بتأثر)** .

المجنون : لا تنادنى بسيدى القاضى ، أرجوك .. ابتداء من هذه اللحظة ، أنا الكابتن مارك أنطونيو بانزى بتشينى ، من مختبرات البوليس العلمية .. أيناسبكم هذا ؟

القوميسار : ولكن هناك شخصا حقيقيا اسمه الكابتن بانزى بتشينى . هو فى روما ..

المجنون : تماما . وعلى هذا النحو .إذا كتبت الصحفية شيئا لا يعجبنا ، كان من السهل علينا أن نثبت أنها كتبته من عندياتها .. وساعتها نستدعى من روما الكابتن بتشينى الحقيقى !

القوميسار : أنت عبقرى ! اتظن حقا أنك تستطيع أن تقوم بدور الكابتن ؟

المجنون : لا عليك . خلال الحرب الأخيرة كنت قسيسا فى سلاح المشاة .

المدير : صه . وصلت !

(تدخل الصحفية)

المدير : تفضلى ، يا سنيوريتا ، تفضلى .

الصحفية : طاب يومكم . أيكم السيد المدير ، إن سمحتهم ؟

المدير : أنا . مرحبا بك يا سنيوريتا ، تعارفنا – للأسف – تم بالتليفون .

الصحفية : مرحبا بك . الساعى ، تحت ، لم يسهل مهمتى ..

المدير : أرجو ألا تؤاخذيه . الخطأ خطئى ، فقد نسيت أن أخطره بوصولك .. أقدم لك معاونى ، القوميسار بيزانى ، الذى يرأس هذا المكتب .

الصحفية : تشرفنا .

القوميسار : لى كل الشرف ، يا سنيوريتا : **(يصافحها بقبضة عسكرية)**

الصحفية : يا لها من قبضة !

القوميسار : لا تؤاخذينى ..

المدير : **(يومىء إلى المجنون ، الذى يتململ ، مديرا ظهره)** وأخيرا ، الكابتن .. الكابتن ؟

المجـنون : هـأنـذا .. (**يبدو بشارب مستعار ، وعلى عينه عصابة سوداء . يده يغطيها قفاز بنى اللون . المدير يفتح فمه من الدهشة ويعجز عن استكمال جملته . المجنـــون يتولى تقديم نفسه**) الكابتن مارك انطـونيو بانزى بتشينى ، من مـختبرات البوليس العلمـية . لا تؤاخذى يدى المتـخشبـة . إنها يد خشبـية ، من ذكريات الحـملة الجزائرية . كنت من مظليى الفـرقة الأجنبية . تفضلى بالجلوس ، يا سنيوريتا .

المـــــدير :أطلب لك شرابا ؟

الصحفية : لا ، شكرا . أفضـل ، إن لم يكـن فى ذلك إزعـاج ، أن أبدأ على الفـور .. لا تؤاخذونـى ، ولكنى على عـجلة ، اذ عــلىّ لســوء الحظ أن أســلم مـقـالى هذا المسـاء ، بحـيث يطبع فى الصـحـيفـة هذه الليلة .

المـــــدير : كما تريدين . فلنبدأ فى الحال . نحن على استعداد.

الصحفية : لدىّ عدة أسئلة أود أن أطرحها .. (**تخرج «بلوك نوت» وتقرأ منه**) السؤال الأول موجه إليك بالذات ، يا حـضـرة القوميـسـار ، وأرجـو ألا تؤاخذنى لما قد يكون فيـه من اسـتـفـزاز .. وإن لم يكن لديك مانع فإنى استخدم جهاز تسجيل ..

(تخرج جهاز تسجيل صغير من حقيبة يدها)

القوميسار : الواقع أننا .. فى الحقيقة ..

المجـنون : خذى حريتك ، أرجوك .. (**إلى القوميسار**) القاعدة الأولى : عدم الاعتراض .

القوميسار : ولكن إذا أفلت منا شـىء ، وأردنـا أن نكـذبه فـستكون لديها أدلة ..

الصحفية : عفوا ، أيها السادة ، هل هناك صعوبة ؟

الكابـــتن : (بكياسة) لا ، لا ، بالعكس ، القوميسـار كان يمدحك لى . إنه يقول إنك فائقة الشجاعة .. وإنك تؤمنين بالديمقراطية ، وتعشقين الحقيقة والعدالة .. مهما كان الثمن !

الصحفية : حضرة القوميسار بالغ الكرم ..

القوميسار : ما سؤالك ؟

الصحفية : لِمَ يسميك الناس بـ «نافذة فرشح» ؟

القوميسار : «نافذة فرشح» ، أنا ؟!

الصحفية :نعم ، أو أيضا «قوميسار الفرشحة» .

القوميسار : ومن ، حسب علمك ، الذى يطلق علىّ هذا الاسم ؟

الصحفية : عندى هنا صورة «فوتوكوبيا» من خطاب أرسله فوضوى شاب من سجن «سان فيتورى» كان رهن السجن فيه فى الأيام التى مات فيها الفوضوى الذى يعنينا . إنه يتحدث عنك بالذات ، يا حضرة القوميسار .. وعن هذه الفرقة .

القوميسار : كذا ؟ وماذا يقول ؟

الصحفية : (تقرأ) القوميسار الذى يوجد مكتبه فى الدور الرابع أرغمنى على الجلوس على النافذة ، وساقاى متدليتان فى الفضاء ، ثم أخذ يحرضنى ويقول : «إقفز» ويهيننى .. « لم لا تقفز .. خانتك الشجاعة .. هه ؟ هيا ، إنه هذا الموضوع . ماذا تنتظر ؟ «أؤكد لك إننى اضطررت إلى الجز على أسنانى كيـلا أرضخ وألقى بنفسى» .

المجنـــون : ممتاز . ولا فيلم من أفلام هتشكوك !

الصحفية : أرجوك ، يا كابتن .. أنا إنما طرحت سؤالي على رئيس هذا المكتب ، لا عليك . بم تجيب ؟ (**تقرب جهاز التسجيل من فم القوميسار**)

الكابتن : (**في أذن القومسيار**) هدوء وعدم اكتراث !

القوميسار : ليست عندي إجابة .. أنت ، على الأصح ، التي عليها أن تجيبني بكل صدق ، أتظنين أني جعلت عامل السكة الحديد أيضا يفرشح على النافذة ؟

الكابتن : صه ! لا تقع في المصيدة . (**يغني**) الصقر يطير، بعيدا عن بيتي ..

الصحفية : هل أنا مخطئة ، أم أنك ، يا كابتن ، تشوش علينا ؟

الكابتن : أبدا .. هذا مجرد تعليق . بعد إذنك ، أود أن أسألك ، يا سنيوريتا فيللتي عما إذا كنت تعتبريننا وكلاء دعاية لماركة صابون غسيل .. مادمت تريدين بأي ثمن أن تبرهني على أننا حريصون على جعل كل فوضوي يقع تحت أيدينا يمر باختبار النافذة !

الصحفية : غلبتني . أنت قدير جدا ، يا حضرة الكابتن.

القوميسار : شكرا .. لقد أخرجتني من ورطة أي ورطة .. (**يربت على كتف الكابتن**) .

الكابتن : حاسب ، يدك ، يا حضرة القوميسار .. عيني من زجاج ! (**يشير إلى عصابته السوداء**) .

القوميسار : عين من زجاج ؟

المجنون : وحاسب أيضا عندما تصافحني ، فإن يدي صناعية .

الصحفية : خلّنا في موضوع النافذة . الملفات المرفقة بقرار الحفظ الصادر

من قاضى الحفظ لم يرد فيها قرار الخبرة بشأن قطع متكافىء السقطة .

المـــــدير : قطع متكافىء السقطة ؟

الصحفية : نعم . قطع متكافىء سقطة المنتحر المزعوم .

المـــــدير : فيم يستخدم ؟

الصحفية : فى إثبات ما إذا كان الفوضوى ، فى اللحظة التى عبر فيها النافذة محلقا ، كان لا يزال على قيد الحياة أم لا . أى ما إذا كان قد عبر النافذة بحد أدنى من قوة الدفع أم أنه سقط بلا حراك ، كما اتضح ، منزلقا بطول الجدار .. إذا كان قد حدثت له كسور أو جروح فى الذراعين أو اليدين ، كما لم يتضح . أى أن المنتحر المزعوم لم يمد يديه إلى الأمام ليحتمى بهما فى اللحظة التى اصطدم فيها جسمه بالأرض ، مع أن هذه الحركة طبيعية وغريزية تماما ..

القوميسار : نعم ، ولكن لا تنسى أننا هنا بصدد حالة انتحار .. حالة رجل قفز من نافذة لأنه كان يريد أن يموت !

الكابـــــتن : ليس بالضرورة . فى هذه النقطة أنا مضطر للأسف إلى القول بأن السنيوريتا على صواب .. أنا ، كما ترون ، رجل موضوعى . لقد أجريت عدة تجارب فى هذا الخصوص : أخذوا منتحرين ، وجعلوهم يسقطون ، ولاحظوا أنهم جميعا كانوا ، بصورة غريزية .. تاك .. يمدون أيديهم إلى الأمام فى اللحظة المناسبة .

المـــــدير : ما أعجبها من طريقة لتأييدنا .. أنت مجنون ؟

المجـنـون : نعم ! من أخبرك ؟

الصحفية : الشيء المحير ، الذى سيسعدنى أن أحصل بشأنه على تفسير ، هو أن المستندات المرفقة بقرار الحفظ ليس من بينها الشريط الذى سجلت عليه بالضبط الساعة التى استدعيت فيها سيارة الإسعاف . إن نداء عامل تليفون مركز البوليس تم - كما أكدت شهادة حامل النقالة التابع للصليب الأبيض - قبل منتصف الليل بدقيقتين . ولكن جميع الصحفيين الذين هرعوا إلى الميدان قرروا أن القفزة حدثت بعد منتصف الليل بثلاث دقائق على وجه التحديد ، ومعنى هذا باختصار هو أن سيارة الإسعاف استدعيت قبل أن يلقى الفوضوى بنفسه من النافذة بخمس دقائق . أباستطاعة أحد منكم أن يشرح لى السر فى هذا الاستباق الغريب ؟

المجـنـون : كثيرا ما يحدث أن نستدعى سيارات الإسعاف هكذا ، كإجراء وقائى .. إذا من يدرى ! .. ويحدث فى بعض الأحيان - كما ترين - أن يتحقق ما توقعناه .

القوميسار : (يضربه على كتفه براحة يده) براڤو !

المجـنـون :حاسب ، عينى .. ستجعلها تخرج من محجرها !

المـديـر : وبالإضافة إلى ذلك ، فإننى لا أفهم بأى شىء تريدين أن تتهمينا . هل التنبوء بوقوع حادث جريمة ؟ قبلها بثلاث دقائق لا أكثر ؟ التنبؤ لدى البوليس هو كل شىء !

القوميسار : ثم إننى مقتنع تماما بأن المسئول هو الساعات . هؤلاء الصحفيون ، لابد أن ساعاتهم كانت تؤخر .. أعنى كانت تقدم..

المـــدير : إلا إذا كانت ساعة «السنترال» التليفونى التى سجلت مكالمتنا التليفونية هى التى كان فيها تأخير .

الشاويش : هذا أكثر من محتمل !

الصحفية : غريبة مذبحة الساعات هذه !

المجنـون : وما وجه الغرابة ؟ نحن هنا لسنا فى سويسرا . فى بلدنا هذا، كل إنسان يضبط ساعته كما يشاء . هناك من يفضل أن تقدم ساعته.. ومن يفضل أن تؤخر.. نحن فى بلد فنانين، والفنانون قوم شديدو الفردية، وهم متمردون على العرف والتقاليد.

القوميسار : برافــو ، عظيم ! **(يضربه براحة يده. يسمع صوت «بلية» تقفز على أرضية الغرفة)**

المجنون : أرأيت ؟! ماذا قلت لك.. ها قد أخرجت عينى الزجاجية من محجرها !

القوميسار : **(يلقى بنفسه على أربع ليبحث عنها)** لا تؤاخذنى .. سنجدها لك فى الحال ..

المجنون : عصابتى حجزتها لحسن الحظ، وإلا فمن يدرى إلى أين كان يمكن أن تنتهى . معذرة يا سنيوريتا ، عم كنا نتحدث ؟

الصحفية : عن كوننا بلد فنانين متمردين على التقاليد .. أنا أوافقك على هذه النقطة . القضـــاة المكلفون بحفظ القضايا متمـــردون بشكل خاص. إنهم يغفلون عن تلقى شهادة شهود العيان، والأشرطة التى تسجل عليها الأوقات ، وتقارير الخبرة بشأن حالات السقوط.

وهم لا يسألون عن سبب استدعاء سيارات الإسعاف مقدما.. أشياء

تافهة ، كل هذه ! بما فى ذلك الكدمات الظاهرة فى مؤخر مخ الميت والتى لم تتضح أسبابها قط .

المدير : حذارى ياسنيوريتا .. أنصحك بألا تتحدثى عن غير علم .. هذا خطر .

الصحفية : هذا تهديد ؟

المجنون : لا ، لا ، يا سيدى المأمور .. لا أعتقد أن السنيوريتا تتحدث عن غير علم . هى ولا شك تشير إلى رواية للوقائع سمعت البعض يحكونها فى أكثر من مناسبة . والغريب أن مصدرها هو هذا المبنى.

المدير : أى رواية ؟

المجنون : الناس يتهامسون بأن أحد الحاضرين نفد صبره خلال آخر استجواب أجرى مع الفوضوى ، قبل منتصف الليل مباشرة بدقائق، فضرب عنقه بسن يده ضربة قاصمة.. احتفظ بهدوئك، ياحضرة القوميسار.. وأن هذه الضربة أحدثت للفوضوى شبه شلل، وأن الفوضوى أصيب ، علاوة على ذلك، بحشرجة وعجز عن التنفس .. وأن سيارة الاسعاف استدعيت عند ذلك، وأن محاولة بذلت فى هذه الأثناء لإنعاش الفوضوى، ففتحت النافذة على مصراعيها ، وأن الفوضوى سيق الى النافذة وأجبر على الانحناء على حافتها لكى يهزه هواء الليل البارد .. ويقال إن نفرين كانا يسندانه .. وكما يحدث عادة فى مثل هذه الحالات، كان كل منهما يعتمد على الآخر.. أنا أمسكه؟ أنت تمسكه؟ بادابوم ! وإذا به يسقط على الارض .

(القوميسار يتقدم فى غضب عارم، وينزلق على البلية الزجاجية.. وينطرح على الأرض)

الصحفية : تماما. هذا ما يقوله الناس .

المـــــدير : أجننت ؟

المجنون : نعم ، ست عشرة مرة، يا سيادة المدير .

القوميسار : يا إلهى ! على أى شىء انزلقت ؟

المجنـون : على عـينى الزجـاجـيـة.. هذا هـو مـا انزلقت عليـه. انظر.. لقد وسـخـتـهـا . أيهـا الشـاويش ، إئتنى من فـضلك بكوب مـن الماء كى أغسلها .

(الشاويش يخرج) .

الصحفية : يجب الاعتـراف بأن هذه الرواية تفسـر كـثيـرا من الأمـور الغامضة .

لماذا استدعيت سيارة الأسعاف مقدما، لماذا سقط هذا الجسد الهامد ؟ .. بل والعبارة الغريبة التى استخدمتها النيابة العامة فى حيثياتها الختامية ؟ !

المجنـــون : أى عبارة ؟ أفصحى . بحسبى ما أعانيه من صراع !

الصحفية : النيـابة العـامـة صرحت، كتـابة، بأنه يجب اعـتبـار أن مـوت الفوضـوى كان نتيـجة حـادث. لاحظ هذه العبارة. «حـادث» وليس انتحارا كما قلت أنت . هناك فارق كبير بين العبارتين . ومن جهة أخرى فإن المأساة، كما رواهـا الكابتن، يمكن وصـفـهـا بالفعل على أنها «حادث» .

(يعود الشاويش في هذه الأثناء ويعطى قدحا للمجنون الذى ينسى نفسه وهو يستمع الى كلام الصحفية فيبلع البلية الزجاجية كما لو كانت قرص دواء)

المجنون : يا إلهى ! عينى ! بلعت عينى ؟ .. لا بأس. لعل ذلك يريحنى ، على الأقل ، من الصداع !

المدير : **(فى أذن الكابتن المزيف)** ما هى هذه اللعبة التى تلعبها ؟

القوميسار : **(كما فعل المدير)** ألا تعتقد أنك أعطيت الصقر مجالا أكثر من اللازم؟ هى تعتقد الآن أنها ضيقت علينا الخناق .

المجنون : دعنى أتصرف ، أرجوك . **(الى الصحفية)** سأثبت لك، ياسنيوريتا، أن هذه الرواية الأخيرة لا يعتد بها .

الصحفية : لا يعتد بها، كما لا يعتد بشهادة أصحاب المعاشات عند قاضى الحفظ.

المجنون : ما حكاية أصحاب المعاشات هذه التى لا يعتد بها ؟

الصحفية : غريب أنك تجهل هذا . لقد صرح القاضى المذكور فى قرار الحفظ بأن شهادة الزبائن الثلاثة الذين استشهد بهم الفوضوى والتى أكدوا فيها أنه قضى معهم عصر يوم القنابل المفجع، فى لعب الورق، فى مقهى البحرية، شهادة لا يعتد بها .

المجنون : شهادة لا يعتد بها ؟ لماذا ؟

الصحفية : لأنهم ، طبقا لما قاله قاضى الحفظ، أشخاص مسنون، معتلو الصحة، وأنهم - بالإضافة الى ذلك - مقعدون .

المجنون : كتب ذلك فى القرار ؟

الصحفية : نعم .

المجنون : وأى خطأ فى هذا ؟ إن أحدا لا يستطيع الادعاء موضوعيا بأن شخصا متقاعدا متقدم السن، ومقعدا كذلك، نتيجة إصابة حدثت له فى الحرب أو فى العمل، أيهما تختارين، وكان عاملا سابقا، خل بالك، وكان عاملا سابقا، يتوافر له الحد الادنى من المقومات النفسية والبدنية اللازمة لأداء الشهادة ، التى هى مسألة دقيقة .

الصحفية : وما الذى يمنع العامل السابق من ذلك ؟ اشرح لى !

المجنون : أين تعيشين، يا سنيوريتا ؟ بدلا من الذهاب الى المكسيك ، أو إلى كمبوديا أو إلى فيتنام لإجراء تحقيقات صحفية، لِمَ لا تذهبين مرة الى « مارجيرا » أو إلى «بيومبينو» أو إلى «سستوسان جيوفانى».. أو الى «رو» ؟ ألديك فكرة عما هو العامل ؟ العمال حين يصلون الى سن المعاش – وعدد من يصلون إليها، وفقا لآخر الاحصاءات ، فى تناقص مستمر – يكونون قد عصروا عصرا كالليمونة ، فأصبحوا كالأشباح، وتكون ردود فعلهم العصبية قد انخفضت الى الحد الأدنى وأصبحوا أشبه بالخرق البالية ..

الصحفية : أنت ، فى رأيى تصور المسألة تصويرا يائسا للغاية .

المجنون : أتعتقدين ؟ اذهبى إذن والقى نظرة فى أى مقهى يلعب فيه أصحاب المعاشات الورق واستمعى اليهم، إنهم يسب بعضهم البعض ويلوم بعضهم البعض، بين الحين والحين، وبالدور ، لأنهم نسوا الأوراق التى لعبوها: «أيها التعس، السبعة المربعة ، أنا الذى لعبتها» . «لا ، أبدا ، أنت لعبتها فى الدور السابق، لا فى هذا الدور». «اى دور سابق ؟ هذا هو أول دور نلعبه اليوم. صدقنى لقد

خرفت «. «لا أنت الذى يخرف، كان المفروض ان تحتفظ بالسبعة المربعة كورقة رابحة.. وبدلا من ذلك ذهبت تلعبها على مائدة الجيران». «أي ورقة رابحة ؟ هذه المرة كانت الملك ، لا أقل ! أنت حقيقة أبله !» . «أنا أبله ؟ إلى من تظن أنك تتحدث ؟» . «لا أعرف وأنت ؟» . « ولا حتى أنا؟» .

الصحفية : ها ! ها ! أنت تبالغ . دعنا من هذه الدعابة الكاريكاتورية .. إذا كان الأمر قد انتهى بهم الى هذا ، أليس من الجائز أن يكون الخطأ خطأهم ؟

المجنون : لا ، بالتأكيد ، بل الخطأ خطأ المجتمع ! ولكننا لم نجيء إلى هنا لنهاجم الرأسمالية واصحاب العمل، بل جئنا لنتناقش فيما إذا كان يعتد أو لا يعتد بشهادة نفر من الناس ! إذا كان رجل من الرجال فى حالة يرثى لها لأن أصحاب العمل اسرفوا فى استغلاله أو لأن حادثا وقع له فى المصنع، فإن هذا لا يعنينا كثيرا نحن أهل النظام والعدالة .

المديـــر: برافو ، يا كابتن .

المجنون : «أنت لا تملك دخلا يسمح لك بشراء فيتامينات ، وبروتينات وسكريات ودهنيات وفوسفات كالسيوم لتقوية الذاكرة؟ هذا من سوء حظك : أنا كقاض أرفض شهادتك .. آسف، ولكنك خارج اللعبة. أنت مواطن من الدرجة الثانية .»

الصحفية : آه . انظر، انظر ! كنت أعرف اننا سنلف وندور ثم ننتهى الى موضوع حرب الطبقات والامتيازات الطبقية !

المجنون : ومن قال لك العكس ؟ من الصحيح أن مجتمعنا منقسم الى

طبقات .. حتى فيما يتعلق بشهادة الشهود، فهناك شهود من الفئة الأولى ومن الفئات الثانية والثالثة والرابعة. هي ليست أبدا مسألة سن.. المرء قد يكون أكبر سنا من نوح أو قد يكون عاد إلى سن الطفولة أكثر من يشوعا ..

ولكن إذا كنت خارجا لتوك من حمام «السونا» او من «دش» حار وبارد أو من مساج وتدليك، ومصباح لجعل البشرة برونزية اللون، وكنت ترتدى قميصا من حرير وكوفية ، وتركب سيارة «مرسيدس» ذات ستة مقاعد ، مع السائق الخاص.. فبودى أن أعرف ما إذا كان القاضى لا يقرر فورا أنك ممن يعتد بشهادتهم ! بل إنه ، فى رأيى ، سيقبل يدك قائلا : «إن شهادتك يعتد بها الى اقصى حد.» . خذ مثلا قضية خزان «فاجونت» وهو اسم خيالى من تأليفى. المهندسون المتهمون ، هؤلاء النفر القليلون الذين أمكن القبض عليهم لأن الآخرين لاذوا بالفرار بعد أن بلغوا بالأمر بواسطة أشخاص غير معروفين.. أقول إن هؤلاء المهندسين الخمسة أو الستة ، لأنهم أرادوا أن يكسبوا عدة مليارات من الليرات فوق ما عندهم ، تسببوا فى أن ما يقرب من ألفى مواطن لقوا حتفهم غرقا فى ليلة واحدة، كانوا أكبر سنا من أصحاب المعاشات فى مقهى البحرية. ومع ذلك لم يجد أحد أن شهادتهم أمام القاضى لا يعتد بها. بالعكس منحت لهم ثقة كاملة ! آه! إننا نمزح بحق السماء ! لأى شىء يحصل الشخص إذن على دبلومات؟ لأى شىء يصبح المرء صاحب اسهم امتياز ؟ كى يعامل معاملة صاحب المعاش الذى يموت من الجوع ؟ ثم يقال إن ايطاليا لم تعد لها ثقة فى ليرتها ..

بل هناك من يقول إن كاتب الجلسة ، قبل أن يدلى المهندسون المساهمون المذكورون بشهادتهم امام المحكمة لم يطلب منهم ان يقسموا بصوت عال القسم التقليدى : «اقسم ان اقول الحق، كل الحق، الخ » . وأنه اكتفى ، فيما يبدو ، بأن يقول : «تفضلوا ، يا حضرة المهندس عضو مجلس الادارة المنتدب ومدير الانشاءات المائية بشركة «ساد» وأنت ايضا ياحضرة مهندس المشروعات والخبير الوزارى ، وكلاكما مساهم فى شركة «ساد» المذكورة ، التى يبلغ رأس مالها ١٦٠ مليار ليرة ، رأس مال مبدئى مدفوع بالكامل. تفضلوا ، نحن نستمع إليكم ونصدقكم .» وأن القضاة قاموا بعدها بكل احترام ، وأعلنوا جميعا فى «كورس».. بصوت عال وأيديهم اليمنى مرفوعة بشكل ظاهر على الإنجيل : «نقسم أنكم ستقولون الحق، كل الحق، ولا شىء غير الحق، نقسم على هذا ! »

(المجنون – الكابتن يخرج من خلف المكتب . نكتشف أن له ساقا خشبية كساق القرصان. الكل ينظرون إليه فى رعب. الكابتن يعلق ، وكأن شيئا لم يكن) .

المجنون : فيتنام ، ذوو البريهات الخضراء.. ذكريات أليمة لاداعى لاسترجاعها فهى فى ذمة الماضى .

يفتح الباب ويطل القوميسار برتوزو برأسه . على عينه عصابة ..

برتوزو: معذرة ، هل أزعجكم ؟

المدير : تعال ، يا حضرة القوميسار برتوزو . تفضل .

برتوزو : أردت فقط أن أودع هذا **(يريهم علبة معدنية) .**

المدير : ما هذا ؟

برتوزو : هو قنبلة طبق الاصل من تلك التى انفجرت فى البنك ...

الصحفية : رباه !

برتوزو : لا تنزعجى ، ياسنيوريتا . لقد نزعت فتيلها ..

المدير : ضعها هنا ، من فضلك . ومد يدك الى زميلك . أنت أيضا، يا حضرة القوميسار ، تعال الى هنا ، وتصالحا .

برتوزو : نتصالح ، ياسيادة المدير ؟ لو كنت أعرف على الأقل ما الذى جعله يورم لى عينى !

(المدير يزغده بمرفقه)

القوميسار: لا تعرف ؟ هه ؟ والصوت إياه ؟

برتوزو : أى صوت ؟

المدير: يا جماعة ! هناك غرباء .

المجنون : تماما ....

برتوزو : ولكن ، سيدى المدير، بودى فقط أن أفهم ما الذى حمله على هذا .. لقد دخل حتى دون أن يقول طاب يومكم ، ثم ..

المجنون : كان عليه بالفعل أن يقول له صباح الخير . أنت فى هذا محق .

برتوزو : آه .. أترى ؟ ولكن ، معذرة .. أنت .. يبدو لى أنى أعرف وجهك .

المجنون : جائز . لأن لكل منا عصابة على عينه . **(الكل يقهقهون ضاحكين)** . ها ! ها ! .

برتوزو : لا ، لا . أقولها بجد .

المجنون : اسمح لى بأن أقدم نفسى، أنا الكابتن مارك أنطونيو بانزى بتشينى .. من مختبرات البوليس العلمية .

برتوزو : بتشينى ؟ لا هذا مستحيل .. أنا أعرفه جيدا، الكابتن بتشينى .

المدير : **(يركله بقدمه)** لا ، أنت لا تعرفه .

برتوزو : لا أعرفه ؟ أنت تهزل ؟

القوميسار : لا ، أقول لك إنك لا تعرفه **(يركله)**

برتوزو : لا تكررها ، وإلا .. !

المدير : دع عنك **(يركله)** .

برتوزو : لقد كان زميلى فى الدراسة.. **(يتلقي ركلة أخري من الكابتن)** .

المجنون : ألم يقولا لك أن تترك هذ الموضوع **(يضربه ايضا على رأسه)** .

برتوزو : إسمع، يا صاح !

المجنون : يشير الى القوميسار .. هو الذى فعلها ..

(المدير يأخذ برتوزو جانبا تجاه الصحفية)

المدير : اسمح لى ، ياحضرة القوميسار، أن أقدم لك السنيوريتا.. وبعدها ، سأشرح لك .. السنيوريتا فيللتى ، صحفية فهمت الآن **(يزغده)** ..

برتوزو : تشرفنا انا القوميسار برتوزو .. لا ، لم أفهم .

(المدير يركله بقدمه ، الكابتن يركله بدوره ، ويبدو أنه استطاب الركل، فيركل، المدير ايضا ، ويضرب ، فى الوقت ذاته برتوزو والقوميسار الآخر على قفييهما) .

برتوزو : (وقد تصور ان الذي ضربه على قفاه هو القوميسار الاخر) أرأيت ياسيادة المدير، إنه هو دائما الذى يبدأ .

(فى النهاية يضرب المجنون الصحفية براحة يده على عجيزتها ويشير الى المدير) .

الصحفية : ما هذا ؟ .. أهذه طريقة ؟

المدير : **(الذى يظن أنها تتحدث عن المعركة الكلامية)** معك حق ، ولكننى لاأفهم شيئا .. برتوزو، دع هذا واستمع الى السنيوريتا جاءت الى هنا لحديث صحفى فى غاية الأهمية . فهمت ؟ **(يركله بقدمه ويغمز بعينه) .**

برتوزو : فهمت ..

المدير : إذا كان لديك، يا سنيوريتا سؤال تريدين أن تطرحيه عليه هو الآخر.. هذا القوميسار أيضا خبير عظيم فى فن القذائف والمفرقعات .

الصحفية : نعم، إذا استطعت اشباع فضولى .. قلت إن فى هذه العلبة قنبلة تشبه قنبلة البنك ..

برتوزو : تشبهها تقريبا ، إذ إن جميع القنابل الأصلية قد ضاعت اتفهميننى ؟ ..

الصحفية : هناك مع ذلك قنبلة ظلت على حالها ولم تنفجر ..

برتوزو : نعم ، قنبلة البنك التجارى ..

الصحفية : بودى أن اعرف لماذا جرى اولئك الذين اكتشفوا وجودها بسرعة ودفنوها وفجروها ، بدلا من نزع فتيلها وتسليمها للمختبر العلمى، طبقا للأصول ، لكى تفحص فحصا كاملا .

برتوزو : ولِمَ توجهين لى هذا السؤال ، لو سمحت ؟

الصحفية : أنت تعرف ذلك خيرا منى أيها القوميسار.. لأن تفجير القنبلة بهذا الشكل هو فى الوقت ذاته تفجير لتوقيع القتلة .

المجنون : هذا صحيح .. هناك قول مأثور : «قل لى كيف صنعت القنبلة ، أقل لك من أنت» ..

برتوزو : **(يهز رأسه)** لا ، لا ! هذا ليس بتشينى !

(المجنون يأخذ العلبة التى تحتوي على القنبلة)

المدير : بديهى أنه ليس هو ! اسكت !

برتوزو : هذا ما يبدو لى ، ولكن من هو ؟ **(يتلقى ركلة جديدة)** .

المجنون : اذا سمح لى القوميسار برتوزو ، وبصفتي مديرا للمختبرات العلمية..

برتوزو : من الذى تريد خديعته بهذا؟ ماذا تفعل ؟ دع هذه البلدة وشأنها، من فضلك . إنها خطرة !

المجنون : **(يركله)** أنا مدير المختبرات العلمية.. تراجعوا .

المدير : أتفهم فى القنابل حقيقة ؟

(المجنون يحدجه بازدراء) ..

المجنون : انظرى ، يا سنيوريتا . القنابل التى من هذا الطراز قنابل شديدة التعقيد.. إنظرى الى كل هذه الاسلاك، والى هذين المفجرين وساعة التوقيت والزناد.. والمقبض .. والرافعة.. هى ، كما قلت ، معقدة الى درجة أن بوسع المرء أن يخفى فيها جهازا مزدوجا للتفجير المؤجل دون أن يكون فى مقدور أحد أن يكتشفه ، إلا إذا فك القنبلة كلها قطعة قطعة ، وهذا يقتضى نهارا كاملا.. صدقينى .. وفى هذه الاثناء .. بوم !!

المدير : **(لبرتوزو)** ما رأيك ؟ كأنه متخصص من أهل المهنة .

برتوزو : **(بإصرار)** نعم ، ولكنه ليس بتشينى !

المجنون : وهذا هو السبب الذى جعلهم يفضلون إضاعة توقيع القنبلة ، كما تقولين .. وتفجير القنبلة فى الساحة الخفية ، بدلا من تركها تنفجر وسط الناس وتحدث مذبحة أفظع من الاولى .. هل اقتنعت ؟

الصحفية : نعم، لقد أقنعتنى حقا، هذه المرة ..

المجنون : بل لقد نجحت فى إقناع نفسى .

القوميسار: انا ايضا اقتنعت .. برافو .. هذه فكرة عظيمة (يمسك بيده ويضغط عليها بقوة . اليد الخشبية تبقى بين أصابعه) .

المجنون : ها قد نزعتها. قلت لك إنها خشبية !

القوميسار : لا تؤاخذنى .

المجنون : لم يبق أمامك الآن إلا أن تنتزع رجلى (يعيد تركيب اليد وهو يتكلم) ..

المدير : (لبرتوزو) قل شيئا أنت الآخر يابرتوزو. أرهم أننا ، فى قسمنا أيضا ، لا ننام (يشجعه بربتة على كتفه) .

برتوزو : طبعا . القنبلة الاصلية كانت معقدة . لقد رأيتها . كانت أكثر تعقيدا بكثير من هذه القنبلة . الذين صنعوها قطعا فنيون من خريجى مدارس عليا.. من أهل الحرفة ، كما يقولون .

المدير : على مهلك !

الصحفية : من أهل المهنة ؟ عسكريون ربما ؟

برتوزو : هذا احتمال قوى : (الثلاثة يركلونه فى وقت واحد)

المدير: أيها التعس ! ...

برتوزو : آى آى ! لماذا ؟ ماذا قلت !

الصحفية : (وقد انتهت من تسجيل ملاحظاتها) ، حسنا ، حسنا. أى أنكم ، رغم علمكم بأن صناعة هذا الطراز من القنابل، فضلا عن

استخدامه ، يحتاجان الى خبرة وتجربة ناس من أهل المهنة ، ومن العسكريين بصفة خاصة، هجمتم مستيئسين على مجموعة وحيدة هزيلة من الفوضويين ، وأهملتم الدروب الأخرى التى لست بحاجة لأن أصف لكم لونها وانتماءها ..

المجنون : بلا شك، إذا أخذت برواية برتوزو ، رغم ضعف حجيتها.. لأنه ليس فنياً حقيقياً فى المفرقعات . إنه يهتم بها هكذا.. اهتمام الهواة!

برتوزو : (**مغتاظا**) ماذا؟ أنت تعتبرنى هاويا؟ أنا لا أفقه فى المفرقعات؟ من أدراك؟.. من تكون ؟ (**يتجه إلى رجلى البوليس**) من هو.. خبرانى! (**ركلات أخرى تضطره إلى الجلوس**)

المدير : إعقل..

القوميسار : هدىء من ثائرتك ..

الصحفية : هدىء من ثائرتك، يا حضرة القوميسار.. لا تكن عصبيا. أنا واثقة بأن كل ما قلته صحيح، وأن من الصحيح أيضا أن البوليس والقضاة بادروا إلى اتهام – ولا تؤاخذنى على هذا التعبير ـ ثلة من الفوضويين المخابيل غير المنظمين الذين يثيرون الشفقة يرأسهم راقص، لا يمكن لإنسان أن يتصور مثلها.

المدير : معك حق، كانوا سيئى التنظيم، ولكن هذه كانت واجهة صنعوها خصيصا للتعمية والتضليل.

الصحفية : وما الذى اكتشفتموه خلف الواجهة ؟ أنه خلف أفراد الثلة العشرة، كان هناك اثنان من رجالكم، اثنان من خلصائكم، أو ـ على الأصح. من جواسيسكم وعملائكم. وأحد هذين الاثنين فاشستى من روما يعرفه الجميع وإن كانت مجموعة معتوهينا الفوضويين لا

تعرفه . أما الاخر، فهو من رجال الأمن العام، رجالكم ، متنكر ، هو الآخر، كفوضوى.

المجنون : بالنسبة للعميل المتنكر كفوضوى، لا أفهم كيف جازت عليهم الخدعة. أنا أعرفه. إنه واحد من هؤلاء الاشخاص الذين إذا سألتهم من هو باكونين أجابك بأنه جبن سويسرى بلا ثقوب ! .

برتوزو : شد ما يثير أعصابى هذا الرجل . إنه يعرف كل شيء وكل إنسان.. مع ذلك فأنا أعرفه!

المدير : أنا لست من رأيك على الاطلاق، يا كابتن . عميلنا المخبر ـ الجاسوس، على العكس، عنصر ممتاز، وقد أُعدّ خير إعداد.

الصحفية : أعندكم الكثير من هؤلاء العملاء ـ الجواسيس، متقنى الإعداد، الموزعين هنا وهناك فى مختلف التشكيلات غير البرلمانية؟

المجنون : (يغنى) «الصقر يطير مبتعداً .. » .

المدير : أنا لا أتورع عن الإجابة بنعم وبأن لدينا بالفعل كثيرا منهم، فى كل مكان تقريبا.

الصحفية : هوه، هوه.. أنت تسرح بى، يا سيدى المدير!

المدير : إطلاقا.. بل إن بين الجمهور هذا المساء، إن أردت الحق.. بعضاً منهم، كما هو الحال دائما ، أتريدين رؤيتهم؟

(يصفق بيديه صفقة عالية. تسمع من الجمهور أصوات صادرة من اتجاهات عديدة)

الأصوات : أفندم ! أؤمر! سمعا وطاعة!

(المجنون يضحك ويستدير إلى الجمهور)

المجنون : لا عليكم. هؤلاء ممثلون.. أما الحقيقيون فموجودون، ولكنهم يصمتون . هم جلوس فى أماكنهم.

المدير : أرأيت؟ على راحتكم، على راحتكم. الخلصاء والجواسيس هم قوتنا .

القوميسار: وظيفتهم هى الوقاية والسيطرة.

المجنون : والتحريض على القيام بعمليات مخلة بالأمن لاتخاذها ذريعة للقمع (رجال البوليس يتلفتون في انتفاض) .. أردت أن أستبق رد السنيورينا البديهى.

الصحفية : هو بديهى فعلا ! على أى حال، رغم أنكم سيطرتم تماما على كل عناصر هذه المجموعة فقد نجحوا فى تدبير عملية معقدة كهذه العملية دون أن تتدخلوا لمنعهم.

المجنون : حذار ، الصقر يتخذ وضع الانقضاض !

المدير : الواقع أن عميلنا الجاسوس كان فى تلك الايام غائبا عن المجموعة.

المجنون : صحيح . بل لقد أحضر معه خطابا يحمل توقيع والديه ليبرر السبب فى تغيبه.. صدقونى!

القوميسار: أرجوك (**بصوت منخفض**) ، يا سيدى القاضى ....

الصحفية : وماذا عن صديقكم الآخر، الفاشستى ؟ كان هناك . أليس كذلك..؟ إن قاضى روما يعتبره المسئول الرئيسى، ويعتبر أنه المنظم والمحرض وأنه ـ وهذا كلام القاضى أيضا ـ استغل سذاجة هؤلاء الفوضويين ليحملهم على تنفيذ عملية لم تكن لديهم أى فكرة عن طابعها الاجرامى . أنا ـ بطبيعة الحال ـ أنقل كلام القاضى وآراءه.

المجنون : الحَقْ.. الصقر وصل!

المدير : أود أن أقول أولا ان الفاشستى الذى تتحدثين عنه ليس من أصحابنا..

الصحفية : لماذا إذن كان يتردد على ادارة البوليس، لا سيما قسمها السياسى بروما؟

المدير : أنت التى تقولين ذلك.. ولكن ليس هذا مدى علمى.

المجنون : **(يمد يده الى المدير)** براڤو ! صدّة بديعة.

(المدير يصافح اليد الخشبية فتبقى بين أصابعه)

المدير : شكرا.. ولكن .. يدك.. آسف ، آسف!

المجنون : **(بعدم مبالاة)** احتفظ بها.. عندى غيرها! **(يخرج يدا أخرى هى يد امرأة)**

القوميسار : ولكنها يد امرأة!

المجنون : لا، بل هى يد الجنس الواحد **(يركبها)**

الصحفية : **(التى سحبت فى هذه الاثناء بعض الأوراق من الملف)** ليس هذا مدى علمك.. ألا تعلم أيضا أن من بين ١٧٣ عملية تفجير ديناميت حدثت حتى اليوم - بواقع اثنتى عشرة عملية كل شهر - أقول : من بين ١٧٣ عملية ١٠٢ عملية ثبت بصورة قاطعة أن من دبروها كانوا فاشستيين، وأن هناك بالنسبة للعمليات الـ ٧١ الباقية، أدلة جدية على أن نصفها عمليات نفذها ايضا فاشستيون، او على الاقل تنظيمات موازية.

المجنون : **(يشير، بحركات باليد المفتوحة على شكل مروحة تحت ذقنه)** شىء فظيع !

المدير : نعم، لابد أن هذه الارقام صحيحة الى حد كبير.. ما قولك، يا حضرة القوميسار؟

القوميسار : لابد أن أستقصى الأمر، ولكن يبدو لى عموما أنها تتفق مع أرقامنا.

الصحفية : وبالمناسبة، حاول أيضا أن تستقصى حول كم من هذه التفجيرات دبر بطريقة تكفل جعل الشكوك والمسئوليات المتعلقة بها تحوم حول اليسار المتطرف .

القوميسار : كلها تقريبا.. هذا بديهى.

الصحفية : بديهى حقا ! كم عدد المرات التى خُدعتم فيها وظهر أنكم كنتم على درجة قليلة أو كبيرة من السذاجة ؟

الكابتن : (مستمرا فى جعل يد المرأة تدور حول وجهه) أيتها الشريرة !

المدير : إذا كنا قد خُدعنا فإن كثيرا من النقابيين ، وكذلك بعض زعماء الحزب الشيوعى الايطالى، قد خُدعوا ايضا بقدر كبير أو قليل من السذاجة، أنظري ، عندى هنا مقالة من جريدة «لونيتا»، تتهمهم «باليسارية المتذبذبة» وبأنهم «مغامرون» .. بمناسبة عمليات تخريب اتضح فيما بعد أن «الهدامين» المتهمين كانوا أبرياء منها.

الصحفية : أعرف ذلك. الذى روّج هذه الأنباء صحيفة يمينية.. بالصيغة التقليدية : «مواجهة بين متطرفين ينتمون الى معسكرين متناحرين» ، وهى صيغة تنجح دائما، حتى عندكم.

المجنون : أيتها الأفعى!

برتوزو : ومع ذلك فإنى أعرفه . سأنزع الآن عصابته !

المجنون: (**يتدخل بلهجة ساخرة**) مـــا الذى كنت تنتظرين ، يا سنيورينا ، باستفزازاتك المكشوفة هذه ؟ أن تسمعينا نعترف بأننا فى البـوليس ، بدلاً من أن نضـيع وقـتنا فى اقـتـفـاء أثر هؤلاء الفوضويين الأربعة، لو أننا جشمنا أنفسنا مشقة البحث بجدية فى دروب أجدى، كدرب المنظمات شبه العسكرية والفاشية التى يمولها رجال الصناعة ويقودها ويؤيدها العسكريون اليونانيون أو غيرهم ، لنجحنا فى حل الألغاز المحيطة بهذه العمليات.

المدير: (**إلى برتوزو الذى يتململ**) لا تخف .. سيقلب لها كل تفكيرها المنطقى فـجأة.. هذه طريقـتـه.. أنا الآن أعرفـهـا ! إنهـا ديالكتـيكية الجزويت !

المجنون : إذا كان هذا رأيك، فإنى اقول لك انك محقة.. أنت على صواب.. لو أننا اقتفينا الدروب الاخرى لاكتشفنا أشياء وأشياء، ها، ها!

برتوزو : هذه هى ديالكتيكية الجزويت؟

المدير : لعمرى ، لقد جن !

برتوزو : (**كمن سطعت عليه الحقيقة**) جن! (**يقفز**) المجنون.. هو ذلك ! إنه هو !

الصحفية : أن أسمع مثل هذه التصريحات من أحد رجال البوليس.. أؤكد لكم.. هذا شىء محير!

برتوزو : (**يجذب المدير من كم سترته**) سيدى المدير، لقد اكتشفت هويته. إنه .. إنى أعرفه !

المدير : حسن، ولكن احتفظ بالأمر لنفسك ولا تشعه فى كل مكان.. (**يترك**

برتوزو فى مكانه وينضم الى المجنون والصحفية)

برتوزو : (ينتحى بالقوميسار جانبا) أقسم أنى أعرفه، هذا الرجل .. هو لم يكن أبدا من رجال البوليس .. انه متنكر!

القوميسار: عارف.. أنت لا تضيف شيئا الى ما أعلمه.. ولكن لا تدع الصحفية تسمعك.

برتوزو : ولكنه معتوه.. ألا تفهم؟

القوميسار : المعتوه هو أنت. أنت لا تترك لى الفرصة حتى لسماع ما يقولون . أصمت!

المجنون : (الذى كان فى هذه الأثناء منهمكا فى الحديث مع الاثنين الآخرين يكمل كلامه) طبعا. أنت صحفية وأنت تجيدين الخوض فى الفضائح التى من هذا النوع.. ولن تحسين إلا بضيق قليل حين تكتشفين أن هذه المذبحة التى راح ضحيتها أبرياء فى البنك لم تفد إلا فى دفن صراعات خريف ساخن ... وفى خلق التوتر اللازم لكى يطالب المواطنون ، الذين أسخطتهم وأثارت تقززهم كل جرائم الاخلال بالنظام الاجتماعى، هم أنفسهم ، بحكومة قوية !

القوميسار: هذا الكلام.. لا أذكر ما إذا كنت قد قرأته فى صحيفة «لونيتا» أم فى صحيفة «الكفاح المستمر».

برتوزو : (يقترب من المجنون من الخلف وينزع عصابته) ها هو ذا ! أرأيتم. إن له عينا.. ها هى عينه !

المدير : قل لى.. أجننت ؟ طبعا له عين.. لم لا تكون له عين؟

برتوزو : إذا كانت له عين، فلم يحمل عصابة ؟

القوميسار: أنت أيضا لك عين تحت عصابتك.. ولكن أحدا لم ينزعها!
(**يجذبه جانبا**) . إهدأ . سأشرح لك الأمر فيما بعد.

الصحفية : ما ألطف هذا. أنت تحمل عصابة لمجرد المزاج؟

المجنون : لا، بل لكيلا أسحرك بوسامتى. (**يضحك**)

الصحفية : ها! ها!.. أضحكتنى.. ولكن استمر ، حدثنى قليلا عن الفضيحة التى ستنتج عن هذا.

المجنون : فضيحة عظمى. أجل، كثير من الاعتقالات بين اليمينيين وبعض القضايا.. كثير من علية القوم يمسهم الرذاذ ... أعضاء فى مجلس الشيوخ وكولونيلات ... أعضاء الحزب الاجتماعى الديمقراطى بيكون، صحيفة «كورييرى ديللا سيرا» تغير مديرها.. اليسار يطلب اعتبار الفاشيين خارجين على القانون.. سنرى.. رئيس البوليس يتلقى التهانى على هذه العملية الجسورة.. وبعدها بقليل يحال الى التقاعد .

المدير : لا.. يا كابتن.. لا.. أوهامك هذه - اسمح لى أن أقول - لا تقوم على أساس.

الصحفية : هذه المرة، أنا معك، يا سيدى المدير.. أعتقد أن فضيحة من هذا النوع ستترتب عليها زيادة فى هيبة البوليس . المواطن سيشعر بأنه يعيش فى دولة أفضل ، فى ظل عدالة أقل ظلما .

المجنون : طبعا.. سيكون هذا كافيا، وأكثر من كاف ! الجمهور يطالب بعدالة حقيقية ؟ حسن. علينا إذن أن ندبر أمرنا بحيث يقنع بعدالة

أقل ظلما بقليل ، العمال يصيحون : أوقفوا الاستغلال المهين؟ ندبر إذن أمرنا بحيث يكون الاستغلال أقل ضراوة بقليل، ونحرص بصفة خاصة على أن يكفوا عن الاحساس بالمهانة، دون أن يتوقف استغلالهم ... هم يريدون ألا يموتوا فى المصانع ؟ نزيد إذن بعض تدابير الأمان ونمنح بعض العلاوات للأرامل . هم يريدون إلغاء نظام الطبقات؟ سنتحرى إذن التقليل من الفوارق أو أن نجعلها أقل ظهورا، وهو الأفضل . هم يريدون الثورة ؟ إذن نمنحهم اصلاحات.. اصلاحات كثيرة.. نغرقهم فى الاصلاحات . أو أفضل من ذلك ـ نغرقهم فى وعود الاصلاح ، أما الاصلاحات ذاتها فلا نحققها أبدا.

القوميسار: أتعرف بمن يذكرنى.. بمارونى.. هذا القاضى المتهم بالطعن فى رجال القضاء .

المديـــر: لا ، لا.. صاحبنا هذا أسوأ من ذلك. إنه مجنون كامل الجنون.

برتوزو : هو بالتأكيد مجنون .. أنا منذ ساعة أقول لكم ذلك !

المجنـون : المواطن العادى لا يهمه أن تختفى القذارات .. لا.. يكفى ، بالنسبة له، أن يكون هناك من يندد بها، وأن تحدث فضيحة وأن يمكنه التحدث عنها . هذه عنده هى الحرية الحقيقية، وهذا هو خير عالم. هالليلويا ، سبحوا الرب!

برتوزو : (يمسك ساق المجنون الخشبية ويهزها) أنظروا الى هذه الساق .. ألا ترون أنها مزيفة ؟

المجنون : طبعا هى مزيفة .. هى مصنوعة من شجر الجوز إن أردت الدقة .

المدير : لقد فهمنا هذا كلنا.

برتوزو : إنها خدعة. هى مربوطة الى الركبة ! **(يهم بفك الرباط)**

القوميسار : أيها المستهتر، دعه ! أتريد أن تفكها؟

المجنون : دعه.. أرجوك.. يفكها لى.. شكراً، لقد بدأت فخذى تنمّل.

الصحفية : لم تقاطعه دائما ؟ أتحسب أنك ستنجح فى القضاء على مصداقيته أمامى لمجرد اثبات أن ساقه ليست ساقا خشبية ؟

برتوزو : لا، بل بإثبات أنه دجال وأنه مصاب بـ «نفاق الهوس» وأنه لم يصب أبدا فى الحرب وأنه ليس بكابتن.

الصحفية : من هو إذن ؟

برتوزو : هو، ببساطة ...

(مدير البوليس والشاويش والقوميسار يهجمون على برتوزو ويضعون أيديهم على فمه ويجرّونه)

المدير: معذرة ، يا سنيورينا، إنه مطلوب على التليفون.

(يجلسون برتوزو أمام المكتب ويضعون سماعة التليفون على فِمه)

القوميسار: **(يحدثه فى أذنه)** أنت مصمم على اضاعتنا أيها المستهتر؟

(الى اليمين ، تستمر الصحفية والكابتن فى الكلام دون أن يلقيا بالا الى رجال البوليس)

المدير : ألا تفهم أن الأمر يجب أن يبقى سراً ؟ لو أن السنيورينا اكتشفت أن هناك تحقيقا مضادا لرحنا فى داهية !

برتوزو : أى تحقيق مضاد؟ **(يضعون السماعة على فمه)** آلو!

القوميسار : تسألنى ؟ لم تتظاهر إذن بأنك تعرف كل شيء وأنت لا تعرف

شيئا ؟ أنت تثرثر وتثرثر وتفسد كل شيء..

برتوزو : لا، أنا لا أفسد كل شيء ... أريد أن أعرف .

المدير : صه! (يضربه بالسماعة على يده) تحدث في التليفون وكفى!

برتوزو : آي.. آلو.. من المتحدث ؟

الصحفية : (التي لم تكف طوال الوقت عن التحدث الى الكابتن المزيف) أوه.. ما أظرف هذا! سيدى المدير، لا تقلق بالك.. الكابتن .. أعنى الكابتن سابقا.. قال لى كل شيء.

المدير : ماذا قال لك ؟

الصحفية : أفصح لى عن هويته الحقيقية !

القوميسار والمدير : عن هويته الحقيقية ؟

المجنون : نعم . ما عاد فى مقدورى مواصلة الكذب.. ثم انها اكتشفتها من نفسها .

المدير : أرجو، على الأقل، أن تكون قد حصلت منها على وعد بألا تذكرها فى الصحيفة.

الصحفية : بل سأذكرها بالطبع ! (تقرأ فى مذكراتها) هذا هو ما كتبت : «فى مركـــز البوليس، التقيت بأسقف فى ثياب مدنية ! ».

القوميسار والمدير: أسقف؟

المجنون : نعم . آسف لأنى أخفيت ذلك عنكم.

(بحركات طبيعية جدا يقلب ياقته فتصبح ياقة رجل من رجال الكنيسة ذات نسيج أسود)

برتوزو : (يضرب جبهته براحة يده) لم يكن ينقصنا غير أسقف !

أرجو ألا تكونا قد صدقتماه !

(القوميسار يأخذ قماشة كبيرة ويحشرها فى فمه)

القوميسار: ما أثقلك.. طلعت روحنا !

(المجنون يخرج طاقية حمراء ويضعها على رأسه بحركات بطيئة ومدروسة. يفك زرارا من سترته كاشفا عن صليب «باروك» من الذهب والفضة. وأخيرا يضع فى اصبعه خاتما ذا حجر بنفسجى ضخم)

المجنون : اسمحوا لى أن أقدم نفسى : الأب أوجستو برنييه، المعين من قبل الفاتيكان كمراقب اتصال لدى البوليس الايطالى.

(يمد خاتمه الى الشاويش ليقبّله. الشاويش يقبّل الخاتم بنهم)

برتوزو : **(يقترب وينزع «بزازته» مدى لحظة)** .. اتصال لدى البوليس!

المجنون : بعد أن قُذف الأب المقدس بالحجارة فى سردينيا وكذلك، مؤخرا، فى مقره بكاستيل جندولفو، كان من واجبنا ـ وأظنكم تفهمون هذا ـ باعتبارنا مسئولين عن الكنيسة، أن نتخذ اجراءات وقائية.. أن تكون لنا اتصالات.

برتوزو : آه.. لا، لا! لقد زدتها كثيرا ! ها نحن الآن ازاء أسقف بوليسى!

(القوميسار يضع «البزازة» في فمه ويأخذه جانبا)

القوميسار : نحن أيضا نعرف أن هذه خدعة، ولكنه جعل من نفسه أسقفا لينقذنا .. فهمت ؟

برتوزو : لينقذنا؟ هل أصبت بنوبة تديّن؟ تريد أن ينقذ روحك ؟

القوميسار : كفى . قبّل خاتمه . **(يرغم برتوزو على الاقتراب بشفته من يد المجنون الذى نجح في هذه الأثناء، متمهلا ودون أن يفرض ذلك عليهم، فى ارغامهم جميعا على تقبيل خاتمه معبرين بذلك عن خضوعهم)**

برتوزو : لا . والله لا أقبل الخاتم . أنا أرفض ذلك . يبدو لى أنكم أصبحتم جميعا مجانين ! لقد عداكم !

(القوميسار والشاويش يعدان بسرعة البرق أشرطة طبية لاصقة ويضعانها على فمه بخشونة فيغطون نصف وجهه، ابتداء من الأنف فأسفل)

الصحفية : ما الذى دهاه ، هذا المسكين؟

المجنون : نوبة ، فيما أعتقد . **(يسحب إبرة من كتاب الصلوات الذى يحمله ويتهيأ لحقنه بها)** أمسكوه . ستفيده هذه الإبرة . هى مهدىء مما يعده الرهبان البندكتيون.

المدير : البندكتيون ؟

المجنون : أجل . إنه بندقية فى محلول ! **(وبسرعة حية الكوبرا يحقن برتوزو ، ثم يسحب الابرة وينظر اليه)** مازال بها قليل.. أتريد بعضها؟ **(يحقن المدير، دون أن ينتظر رده، بسرعة مصارع الثيران النخاس. تصدر من المدير أنّة مختنقة)**

الصحفية : لن تصدقنى، يا صاحب الفخامة، ولكنك حين صحت، منذ لحظة، بمناسبة الفضائح قائلا: «هالليلويا» ، خيل إليّ ، ولا تؤاخذنى على جرأتى ...

المجنون : لا عليك ..

الصحفية : قلت فى نفسى: «أوه.. هذا أسلوب القساوسة !» ألا يسيئك هذا؟

المجنون : يسيئنى لماذا؟ لقد تحدثت حقا بلغة رجال الدين.. لأنى منهم.

(برتوزو يكتب بقلم أسود على ظهر صورة رئيس الجمهورية: «هذا دجال كذاب، وهو مجنون»، ويرفعها متوخيا أن يظل خلف الأسقف الزائف)

المجنون : من جهة أخرى ، فإن القديس جريجوار العظيم، حين اكتشف ، بمجرد انتخابه كبابا، أن الناس تلجأ الى مختلف الحيل لتغطية الفضائح الخطيرة ، غضب غضبة عارمة وأخذ يصيح قائلا: «نوليموس اوت فليموس، اومنيبوس جنتيبوس ، جوستيسيان ايت فيريتاتم».

الصحفية : أرجوك يا صاحب الفخامة.. لقد رسبت ثلاث مرات فى امتحان اللاتينى.

المجنون : معذرة لقد قال باختصار: «سواء قيل هذا أم لم يُقل، فإنى سأفرض العدالة الحقيقية .. وسأفعل المستحيل لكى تنفجر الفضائح بأكبر ضجة . ولا تخشوا أن يبتلع هذا العفن كل سلطة . مرحبا بالفضيحة، لأنها هى التى يرتكز عليها دائما سلطان الدولة المقيم ».

الصحفية : رائع!.. هل يضايقك أن تكتبها لى بالكامل.. هنا؟

(المجنون يهم بكتابة الجملة، المترجمة ، بطبيعة الحال، مع التصرف عن «سان جريجوار» على كراسة

الصحفية . فى هذه الاثناء ينزع القوميسار من يدى زميله الكرتونة التى عليها صورة الرئيس ويمزقها)

المدير : (**يهجم عليه**) ماذا تفعل أيها الرجل ؟ مزقت صورة الرئيس ؟ ألا تعرف أن هذه جنحة ؟ ما الذى جرى لك ؟

القوميسار : ولكن ، سيدى المدير، ألا ترى ما كتبه عليها ! (**يشير الى برتوزو**)

المدير : قد أشاركك الرأى بشأن ميله الى توجيه رسائل ميلودراماتيكية للشعب.. ولكن هذا ليس سببا لتمزيق صورته.. هذا شيء مخجل !

(الصحفية تنظر فوق كتف الأسقف وتتمعن فى فحوى جملة سان جريجوار)

الصحفية : الذى يتضح منها باختصار أنه إن لم تكن هناك فضيحة ، فيجب اختلاق فضيحة ، لأن هذه وسيلة رائعة لتوطيد أركان الحكم بالتخفيف عن ضمائر المضطهدين.

المجنون : تمام . هذا هو التنفيس الذى يزيل جميع التوترات . وأنتم، معشر الصحفيين المستقلين ، أنتم كهنته أصحاب الفضل .

الصحفية : أصحاب الفضل؟ ليس هذا صحيحا بالنسبة لحكومتنا التى ترغي وتزبد وتجرى كالمجنون وتكيل لنا الضربات كلما اكتشفنا فضيحة ما.

المجنون : حكومتنا فعلا ترغي وتزبد .. علما بأنها «بوربونية» قبل رأسمالية.. أنظرى ، على النقيض من ذلك ، البلدان المتطورة ، كبلدان شمال أوروبا ! أتتذكرين فضيحة «بروفومو» فى انجلترا ؟

وزير الحربية الذى دخل دوامة العاهرات والمخدرات والجاسوسية ... !!! هل انهارت الدولة ؟ البورصة ؟ أبداً . بالعكس . لم يحدث أبداً أن كانت البورصة والدولة أقوى مما كانتا بعد هذه الفضيحة. الناس كانت تقول: «هناك فعلا - ولا شك - عفن ، ولكنه عفن يصعد الى السطح ..» أما نحن ، فإننا نتمرغ فيه ، بل نحن نتجرعه تجرعا ، ولكن أحدا لا يزعم أنه شاى بالليمون ، وهذا هو المهم !

المدير : أنا أحتجّ ! كأنك تقولين إن الفضيحة إنما هى السماد للحكومة الاجتماعية الديمقراطية.

المجنون : الأمر كما تقول تماما . الفضيحة هى سماد الحكومة الاجتماعية الديمقراطية. بل إنى أذهب الى أبعد من هذا : الفضيحة هى خير ترياق لأسوأ السموم، الذى هو صحوة الضمير الشعبى . لو أن الشعب صحا لضعنا . أمريكا مثلا ، التى هى بلد اجتماعى ديمقراطى حقيقى، هل فرضت فى أى وقت من الأوقات رقابة على المذابح التى ارتكبها الامريكيون فى ڤييتنام ؟ أبدا . بالعكس ! كل الصحف اليومية كانت تنشر صور النساء اللاتى ذبحن ، والاطفال الذين أزهقت أرواحهم ، والقرى التى دمرت . أنتم تذكرون ولا شك أيضا فضيحة الغاز الذى يصيب من يتنشقه بالشلل ! هذا الغاز الذى صنعت منه أمريكا كمية تكفى لإفناء الجنس البشرى بأكمله ثلاث مرات. أتعتقدون أن الرقابة منعت نشر هذا الخبر ؟ ولا فى الحلم ! كان يكفى أن تفتح جهاز التليفزيون لترى عربات القطارات تسير فى صف طويل : «الى أين تذهب هذه العربات؟ » ــ «إلى

البحر! » ـ «ماذا فى هذه العربات؟ » ـ «غاز يصيب مستنشقه بالشلل ! ستفرغ حمولتها فى البحر على أميال قليلة من الشاطىء ! » بحيث إذا حدث زلزال صغير أو موج عال مفاجىء ، تحطمت الصناديق وصعد الغاز.. جلُو .. جلُو .. الى السطح ومتنا جميعا.. متنا جميعا ثلاث مرات على التوالى ! على هذا النحو يستطيع الناس أن يعبروا عن استنكارهم وامتعاضهم : « ما هذه الحكومة ؟ هؤلاء الجنرالات الذين تتقزز منهم النفس !» . استنكار وراء استنكار ثم.. طيط.. الضرطة المريحة.. لاحظ أن الجميع يقبلون النظام. لا المستغِلون وحدهم ، بل من يعانون من استغلال غيرهم لهم ايضا . أتتذكرون مظاهرة عمال المبانى فى نيويورك ؟ ألوف من العمال نزلوا الى الشارع مسلحين بعصي وخوَذ، تأهبا لإعطاء درس للهدامين القذرين ، سواء من البيض أو من السود، الذين طافوا المدينة وهم يرفعون لافتات كتب عليها : «الحرب على الحرب» و «يسقط استغلال الانسان للإنسان » ، والذين هددوا بإسقاط دولة أرباب عملهم . شىء بديع : المستغَلُّون يدافعون عن مستغليهم!

القوميسار : ما معنى هذا ؟ الانجيل طبقا لرواية شو إين لاى ؟

الصحفية : عفوا. وبمناسبة حرية الكلمة فى أمريكا، ما قولك فى اغتيال مائة وخمسين على الاقل من زعماء حركات السود خلال السنتين الأخيرتين؟

المجنون : أنا تحدثت عن «حرية التكريع والجشاء» لا عن «حرية الكلمة» وشتان ما بين الاثنتين، وعلاوة على ذلك، فإن زعماء حركات السود،

هؤلاء الذين تتحدثين عنهم ، لم يكونوا يحترمون قواعد اللعبة . كانوا يقولون فى كل مكان : «أيها الإخوة والرفاق ، إن أردنا حقا أن نشهد ميلاد «الرجل الجديد»، إن أردنا حقا أن نفتح أبواب الأمل في مجتمع أفضل، فيجب أن نقوض هذا النظام من أساسه ! يجب أن نحطم الدولة الرأسمالية » ! هل نحن مجانين ؟ فى مثل هذه الحالة من البديهى أن ينطلق اثنان من رجال البوليس فى زيهم الرسمى، وأزرارهم تلمع، ومسدساتهم ظاهرة وأن يصلا الى بيت الداعية المذكور: «طق، طق!» ـ « من بالباب؟». – «طاب صباحك ، لا تؤاخذنا. هل أنت الذى يتجول بلافتة كتب عليها «تسقط الحرب» و «استغلال الانسان للانسان؟» ـ «أجل، أنا» – «تشرفنا. بوم ! بوم ! ». انتهى! أنظروا! رئيس البوليس لا يستخفى. هو لا يقول ، كبعض معارفى: «أنا لم أكن حاضرا، الذى فعلها هو معاونى»، إطلاقا . إنه يتحمل مسئوليته كاملة ! «أجل، أنا الذى أعطيت الأمر.. لأن هؤلاء الناس أعداء الوطن، وطننا العظيم، المجيد!»

برتوزو : ارفعوا أيديكم.. ظهوركم الى الحائط وإلا أطلقت النار!

القوميسار : ما هذا يا برتوزو ؟ أجننت ؟

برتوزو : قلت ارفعوا أيديكم.. أنت أيضا يا سيادة المدير.. ليكن فى علمكم أنى لم أعد مسئولا مما أفعل.

الصحفية : رباه !

المدير : إهدأ ، يا برتوزو ، إهدأ.

برتوزو : إهدأ أنت، يا سيدى المدير. لا تخش شيئا . **(يأخذ من المكتب مجموعة من القيود الحديدية ويسلمها للشاويش ويجبره**

على وضع قيد فى يد كل من الحاضرين) هيا. أشبكهم الواحد بعد الاخر فى المشجب . **(هناك بالفعل فى آخر الغرفة مشجب أفقى عال يشبك الشاويش فيه الجميع واحدا بعد الآخر: قيد حول المعصم والآخر مشبوك فى المشجب)** لا تنظروا الىّ بهذه الوجوه، بعد قليل ستفهمون . هذه هى الوسيلة الوحيدة التى بقيت لى كى أسمعكم كلامى. **(إلى الشاويش الذى لا يعرف ما إذا كان عليه أن يضع القيد فى يد الصحفية أيضا)** أجل، السنيورينا أيضا.. وأنت أيضا. **(ثم يخاطب المجنون)** أما أنت ، يا عزيزى فريجولى ديلبورتو جيودا فقل من فضلك لهؤلاء السادة من أنت فى الحقيقة ... وإلا فسأطلق عليك النار لأنك فقأت مرارتى.. مفهوم ؟ **(رجال البوليس والصحفية يريدون أن يعبروا عن شىء من الامتعاض للمعاملة غير الكريمة التى عوملوا بها)** صمتا.. كلكم!

المجنون : بكل سرور، ولكننى إن قلت لهم من أنا بالكلام ، فقد لا يصدقونى.. وهذا ما أخشاه.

برتوزو : أتريد ـ ربما ـ أن تقول لهم ذلك بالغناء ؟

المجنون : لا . يكفى أن أطلعهم على أوراقى.. دفتر مستشفى الأمراض النفسية.. الخ.

برتوزو : موافق.. أين هو؟

المجنون : هناك فى الحقيبة.

برتوزو : تحرك. إذهب وأحضرها ، ولا تحاول أن تعبث وإلا قتلتك!

(المجنون يخرج نصف دستة من الدفاتر والملفات)

المجنون : ها هي.. **(يدفع بها الى برتوزو)**

برتوزو : **(يأخذها ويوزعها على مجموعة المقيدين . يتسلمها كل منهم بيده اليسرى الطليقة)** خذوا، يا حضرات السادة . لا يصدق هذا إلا من رآه.

المدير : مستحيل ! مدرس رسم سابق ؟ في اجازة مرضية ؟ مصاب بجنون العظمة ؟ يعني مجنون !

برتوزو : **(يتنفس الصعداء)** منذ ساعة وأنا أقول لكم ذلك.

القومیسار : **(وهو يقرأ في دفتر آخر)** مستشفيات الأمراض العقلية والنفسية في «ايمولا» و «فوجيرا» و «فاريزى» و«جوريزيا» و «بارما».. لقد مر بها جميعاً !

المجنون : طبعا. جولة ايطاليا المجانين !

الصحفية : خمس عشرة صدمة كهربائية.. عشرون يوما في العزل.. ثلاث نوبات من تخريب الآثار.

الشاويش : مصاب بهوس إشعال النيران .. عشر حرائق إجرامية !

الصحفية : أرني ! أشعل النار في مكتبة الاسكندرية بمصر.. في القرن الثاني قبل الميلاد.. ياه !

برتوزو : مستحيل.. أريني **(يتفحص الورقة)** انه هو الذى أضافها بيده .. ألا ترين ؟ ابتداء من كلمة مصر...!

المدير : ومزيف، بالإضافة الى كونه كذابا ومقلدا ومنتحلا للصفات .. **(إلى المجنون الذى جلس وحقيبته الكبيرة على ركبته وكأنه**

غائب) سأزج به فى السجن لانتحاله صفات دينية ومدنية كاذبة ولإساءة استخدامها !

المجنون : (ساخرا) ت ت ت (بحركات تفيد النفى)

برتوزو : لا فائدة . هو مجنون رسمى.. أنا أعرف كل شىء.

الصحفية : خسارة . كنت قد أعددت فى رأسى مقالا فى غاية الجمال.. ولكنه حطم كل شىء !

القوميسار : بل أنا الذى سأحطمه . لو سمحت ، يا برتوزو ، أطلق يدى من هذا القيد..

برتوزو : وبذلك تورد نفسك موارد الهلاك . المجانين فى بلدنا ، كما تعرف، معتبرون كبقرات الهند المقدسة.. اذا مسستهم أعدمت بلا محاكمة.

المدير : أيها المجرم.. أيها المجنون الأثيم.. تنتحل صفة القاضى المكلف بإجراء تحقيق مضـــاد.. أنا حين أفكر فى الازعـاج الذى سببته لى ...

المجنون : كلا، لم يكن ازعاجا شديدا لا سيما اذا قورن بذلك الذى سيحدث الآن.. أنظروا هنا! **(يخرج من الحقيبة العلبة التى نسيها برتوزو على المائدة)** عدُّوا حتى العشرة وسنطير كلنا فى الهواء !

برتوزو : ما هذا الذى فعلته ؟ لا.. لا تكن أحمق !

المجنون : انا مجنون ولست بأحمق.. زن كلامك يا برتوزو.. واترك هذا المسدس وإلا وضعت أصبعى على الزناد وسبقتك !

الصحفية : يا إلهى .. أتوسل اليك ، يا سيدى المجنون !

المدير : لا تقع فى الفخ، يا برتوزو .. هى قنبلة نزع فتيلها .. كيف يمكن أن تنفجر؟

القوميسار : أجل.. لا تقع فى الفخ !

المجنون : إسمع ، يا برتوزو : أنت تفهم فى هذه الصنعة ، رغم أنك لا تفهم فى الأجـــرومـيـــة . أنظر ، هل هناك زناد أم لا .. أنظر هنا .. ألا تراه ؟ إنه «لونجبار» صوتى .

برتوزو : **(يكاد يغمى عليه ويترك المسدس ومفاتيح القيود الحديدية تسقط من يده)** لونجبار صوتى؟ أين وجدته ؟

(المجنون يلتقط المفاتيح والمسدس)

المجنون : كان عندى.. **(يريه حقيبته الكبرى)** عندى فى هذه الحقيبة كل شىء . وقد وضعت فيها جهاز تسجيل سجلت عليه كل ما قلتموه منذ أن دخلت. **(يخرج جهاز التسجيل ويريهم اياه)** ها هو ذا!

المدير : وماذا تنوى أن تصنع به؟

المجنون : أستخرج منه مائة نسخة وأبعث بها فى كل مكان : إلى الأحزاب وإلى الصـــحف وإلى الوزارات، ها ! ها !.. هذه النسخ هى التى ستكون قنبلة !

المدير : إسمع ، إسمع . أنت لا تستطيع أن تفعل هذا . أنت تعرف جيدا أن تصريحاتنا معيبة لأنك انتزعتها منا بانتحالك صفة القاضى .

المجنون : ليس هذا مهما.. المهم هو أن تنفجر الفضيحة.. «نوليموس اوت

فليموس» ! وأن يصبح الشـــعب الايطالى أيضا، كالشعب الأمريكى والشعب الانجليزى، اجتماعيا ديمقراطيا وعصريا ، وأن يكون فى إمكانه أخيرا أن يصيح : « نحن فى الخـراء حـتى الأعناق، هذا صـحـيـح . على أننا ، لهـذا السـبب بالذات ، نسـيـر مـرفـوعى الرؤوس ! » .

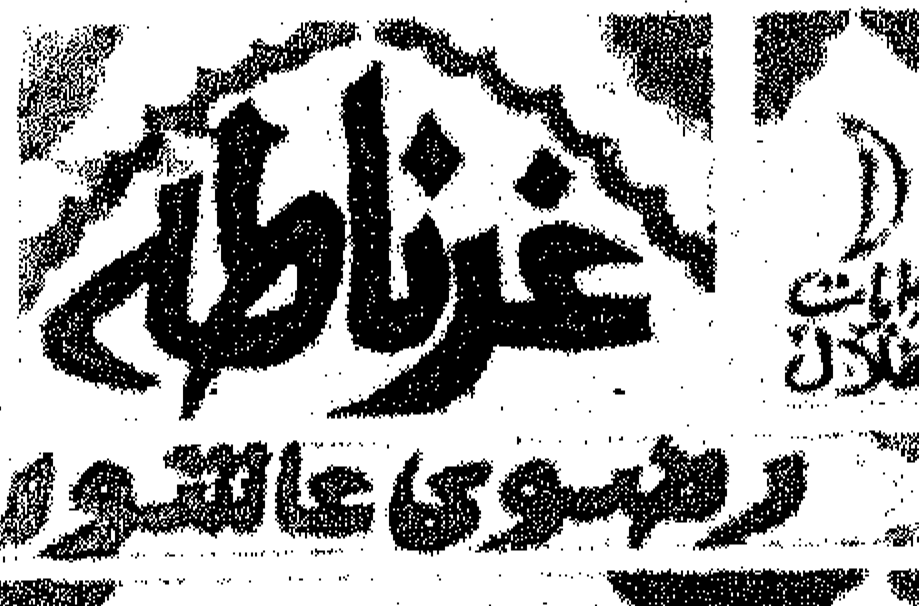
روايات الهلال تقدم لك باقة الروايات التي فازت بأحسن إصدارات إبداعية فى السنوات الماضية فى طبعات إضافية

خالتى صفية والدير رواية ١٩٩٣

الحب فى المنفى رواية ١٩٩٥

غرناطة رواية ١٩٩٤

محب رواية ١٩٩٢















لا أحد ينام فى الاسكندرية رواية ١٩٩٦





زينة الحياة قصص ١٩٩٦

سلسلة روايات الهلال التى صدرت خلال عام ١٩٩٧

	قرش
مصرية - فوزية أسعد - ترجمة: أحمد عثمان	٤٠٠
ليل ونهار - سلوى بكر	٣٥٠
شرف - صنع الله ابراهيم	٨٥٠
الصمت - شوساكواندو - ترجمة كامل يوسف حسين	٦٠٠
ابنة المملوك - محمد فريد ابو حديد	٨٠٠
خرائط للموج - سهام بيومى	٦٠٠
الرجل الذى مات- د.هـ لورانس- ترجمة: د. رمسيس عوض	٥٠٠
أوراق سكندرية - جميل عطيه ابراهيم	٧٠٠
سفر البنيان - جمال الغيطانى	٦٠٠
وصل القطار فى موعده - هاينريش بول - ترجمة: أحمد عمر شاهين	٣٥٠
الطائر الفردوسى (قصة حب مصرية)-د. شكرى محمد عياد	٤٠٠
اهبطوا مصر - محمد عبد السلام العمرى	٧٠٠



رقم الايداع : ١٤٧٦٠ / ١٩٩٧
I. S. B. N
977-07-0572-I



داريو فو

- كاتب مسرحي إيطالى فاز بجائزة نوبل عام ١٩٩٧ ، وهو أيضا ممثل ، ومخرج مسرحي .
- مولود في شمال مقاطعة لومباردیا المتاخمة لحدود سويسرا فى ٢٤ مارس ١٩٢٦ .
- درس الرسم فى أكاديمية بريرا بروما، كما درس الهندسة .
- كون ثنائيا مسرحيا مع زوجته فرانكا رامي ، واهتما بتقديم أعمالهما للفقراء .
- تميز مسرحه بإحياء حالات مسرحية ساخرة ، وحارب فى كتاباته الفاشية واليمين ، ومنعت الولايات المتحدة دخوله إليها لمواقفه الثورية ضدها .
- من أعماله المسرحية «قصة النمر» ، «اللغز المضحك» ، «شيطان بنهدين» «لا تدفع الحساب» ، «ايزابيلا وثلاث سفن ومحتال» ، «أرجو أن تسرق أقل ما يمكن» ، «المشهد الجديد» ، وغيرها من المسرحيات .
- من أقواله : «لا أهتم بالسياسة قدر اهتمامي بالعدالة» .

هذه المسرحية

استوحى الكاتب الإيطالى هذه المسرحية ، المكتوبة عام ١٩٧٠ من حادث حقيقى شهدته الولايات المتحدة قبل ذلك بعام ، ولكنه نقل أحداث المسرحية إلى إيطاليا ، بعد أن شغلت الرأى العام لفترة من الوقت فى كل أنحاء العالم ..

إنها مسرحية حول علاقة رجل فوضوى بأجهزة الأمن . ويرى الكاتب أن الدولة تدفع الشرطة لتنفيذ سياستها القمعية ، من خلال تحقيقات لإدانة رجل فوضوى تم القبض عليه بعد سلسلة من انفجارات عديدة . وصارت التحقيقات بين الفوضوى ورجال الأمن أشبه بلعبة الفأر والقط ، فالأول يهدد بإلقاء نفسه من النافذة ، ويتحول رجال البوليس السياسى إلى أداة للسخرية .

إنها مسرحية جريئة ، استحق الكاتب أن يقترب بها ، وبغيرها من الأعمال ، من قلوب الناس ، وأن يفوز بجائزة نوبل ، ليثير دهشة النقاد .. لكن من يتتبع أسلوب الكاتب وحواره الرشيق ، يعرف السبب الذى من أجله فاز الكاتب داريو فو بنوبل ١٩٩٧ .



نبع الآداب والثقافة المعاصرة

من : أدب ، وقصة ، ودراسة ، وسير ، وبحوث ، وفكر ، ونقد ، وشعر ، وبلاغة ، وعلوم ، وتراث ، ولغات ، وقضايا ، وتاريخ ، واجتماع ، وعلم نفس ، ورحلات ، وسياسة ... إلخ .

صدر من هذه السلسلة :

العنوان	المؤلف
- الإنسان الباهت .	طيبة أحمد الابراهيم
- الحياة مرة أخرى .	نوال مصطفى
- التنويم المغناطيسى .	يوسف ميخائيل أسعد
- نوم العازب .	محمد حسن الألفى
- من شرفات التاريخ جـ ١ .	د . محمد رجب البيومى
- أم كلثوم .	مجدى سلامة
- المرأة العاملة .	سوزان عبد الحميد أغا
- قادة الفكر الفلسفى .	يوسف ميخائيل أسعد
- الملامح الخفية (جبران ومى) .	لوسى يعقوب
- عبد الحليم حافظ .	مجدى سلامة
- انقراض رجل .	طيبة أحمد الإبراهيم
- الشخصية المتطورة .	يوسف ميخائيل أسعد
- محمد عبد الوهاب .	مجدى سلامة
- الشخصية السوية .	يوسف ميخائيل أسعد
- الشخصية القيادية .	يوسف ميخائيل أسعد
- الإنسان المتعدد .	طيبة أحمد الإبراهيم
- الشخصية المبدعة .	يوسف ميخائيل أسعد
- فكر وفن وذكريات .	لوسى يعقوب
- ساعة الحظ .	محمد حسن الألفى
- سيكولوجية الهدوء النفسى .	يوسف ميخائيل أسعد
- الإعلام والمخدرات .	د . نوال محمد عمر
- من شرفات التاريخ جـ ٢ .	د . محمد رجب البيومى
- الشخصية المنتجة .	يوسف ميخائيل أسعد
- الأسرة مشكلات وحلول .	مجدى سلامة
- ظلال الحقيقة .	طيبة أحمد الإبراهيم
- شعرة معاوية ، وملك بنى أمية .	عرفات القصبى قرون
- مذكرات خادم .	طيبة أحمد الإبراهيم

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - المطابع ٨ ، ١٠ ، ١٣ شارع ٤٧ المنطقة الصنـ...
بالعباسية - المكتبات ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقى بالفجالة - ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى - روكسى - ...
الجديدة - القاهرة ت : ٢٨٣٥٥٥٤ - ٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨١١٩٧ ج . م . ع / فاكس - 202/2596650